الدر النظيم

في

مباحث من علوم القرآن الكريم

الدكتور
ابراهيم توفيق ابوبكر الذيب
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر - بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، المنان على خلقه بتنزيل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على سيدنا ورائدنا وأسوتنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وهداية للخلق أجمعين ، خاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء ، وعلى آله السادة الأطهار ، وأصحابه القادة الأبرار ، والتابعين الأخيار ، وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن القرآن الكريم خير كتاب نزل على خير نبي لخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وفضله على سائر الكلام كفضل الله عز وجل على سائر خلقه ، وقد جعله الله خاتمة كتبه السماوية ومصدقاً لما بين يديه منها ومهيمنا عليها ، وأنزله لهداية البشرية جمعاء وإرشادها للتي هي أقوم ، وتحقيق مآربها ومصالحها الدينية والدنيوية : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم[1] » « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون[2] » ،

---

(١) سورة المائدة ١٥ — ١٦ .
(٢) سورة يونس عليه السلام ٥٧ — ٥٨ .

إن هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً(١) .

ومن أجل هـذا ضمنه الله ما يحتاج إليه البشر فى شئونهم الدينية والدنيوية ففيه العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وكافة النظم والقوانين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحربية والجنائية وغيرها من القوانين والتشريعات التى تنظم حياتهم وتعلى شأنهم وتكفل لهم السعادة والاستقرار والطمأنينة والسكينة ، وصلاح الحال ، وهدوء البال وتغنيهم غناء كاملا عن التطلع إلى تشريعات أخرى وضعية أرضية ، واستيراد نظم وقوانين أجنبية .

وجعله الله فوق هـذا معجزاً لـكافة الثقلين الإنس والجن وتحداهم مجتمعين متعاونين أن يأتوا بمثله ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا فى كل مرة : وخرت لبلاغته وكمال إعجازه جباه بلغائهم ، وخرست عن معارضته ألسنة فصحائهم ، وأعلنوا عجزهم وأشهروا إفلاسهم .

ولا يزال — وسيظل — التحدى به قائماً وحجيته ثابتة راسخة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

---

(١) سورة الإسراء ٩ — ١٠ .

ولما كان القرآن حجة رسول الله البالغة ، ومعجزته الكبرى الشامخة الخالدة ، وحصن الدين الأسمى وملاذه الأعلى ، وميزان اللغة العربية وعمادها تستمد منه علومها وبقاءها وحيويتها ونهضتها وانتشارها والحكم عليها ، والدستور القويم المخلص للبشرية من شقائها وضرائها ، وسر صلاحها وسعادتها وعزتها وكمالها ورفعتها فى الدنيا والآخرة عنى المسلمون منذ فجر الإسلام بهذا الدستور العظيم والكتاب الكريم الذى لا تستقيم الحياة إلا به ، وتحتاج إليه الإنسانية أكثر من احتياجها إلى الماء والهواء ، فجعلوه نصب أعينهم ، وقبلة قلوبهم ، وغذاء أرواحهم ، وشفاء صدورهم، ونور أبصارهم ، وواقع حياتهم ، وقوام سعادتهم ، وتضافرت جهودهم المخلصة فى الاحتفاء به والاستفادة منه .

واتخذت عنايتهم الفائقة به أشكالا مختلفة وألوانا متعددة : ترجع إلى حفظه وكيفية قراءته ، وأسلوبه ، وإعرابه ، وإعجازه ، ومجازه ، وكتابته ورسمه ، وترتيبه، وأسباب نزوله ، وأقسامه ، وأمثاله ، وجدله ، ومحكمه ومتشابهه ، وقصصه ، وعظاته وعبره ، وتفسيره ، واستنباط الأحكام منه ، ودفع الشبهات عنه والمنافحة عن عرينه ودرء افتراءات المفترين وتخرص المتخرصين وتربص المتربصين به .. إلى غير ذلك من الأشكال والفنون المتصلة بالقرآن السابحة فى فلكه الرحب .

وهكذا نرى علماء المسلمين قد عكفوا منذ زمن بعيد على الاسترشاد بهذا الكتاب العظيم ، والاستفادة من هذا البحر الزخار الذى لا يدرك

غوره ولا تنفد درره ، والفيض الإلهى والوحى الربانى الذى لا تنقضى عجائبه ولا تنتهى بدائعه ، وأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم وأجهدوا أنفسهم وتفانوا فى تصنيف الكتب والمجلدات فى كل علم من العـــلوم المتعلقة بالقرآن المجيد قابسين من أنواره ، عابقين من شذاه وأعرافه ، وهو مظهر يدل على إدراكهم لمنزلة هـذا الـكتاب الرفيعة ، ومكانته العلية البديعة .

وقد أنجبت هذه العلوم متضافرة وليداً وعلماً جديداً يسمى بـ « علوم القرآن » ، أولاه العلماء الأجلاء العناية والرعاية ودبجوا فيه الرسائل والمؤلفات الـكثيرة ، ولا يزالون يولونه إهتمامهم ورعايتهم قدر جهدهم وطاقتهم .

وقمت بتدوين هذا الـكتاب الخالى من الطول الممل والقصر المخل مساهمة فى خدمة كتاب الله ، ورغبة فى المثوبة والجزاء من الله ، واتخذت عمدتى ومصادر كتابى أمهات المصنفات وعيونها وأصول المراجع وأهمها ، وضمنته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المكى والمدنى .

« الثانى : جمع القرآن الكريم .

« الثالث : ترتيب آيات القرآن وسوره .

راجياً من الله تعالى ومؤملا أن يوفقنى لاستكمال الـكتابة فى كل مباحث « علوم القرآن » أو الـكثير منها ويمنع عنى العوائق ، فلا أسمى

وأشرف من الاشتغال بمدارسة كتاب الله والحياة فى محرابه ورحابه ، والعمل بأحكامه وآدابه .

نسأل الله الحى القيوم بديع السماوات والأرض أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا ، وينفعنا بعلومه وأنواره وهدايته ، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وينفع به من كتبه ، ويعم النفع به ، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه ، ويختم لنا بخاتمة السعادة ، إنه أعظم مسئول وأكرم مأمول .

المؤلف

المبحث الأول

المكي والمدني

من المعلوم أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لبث فى مكة بين ظهرانى قومه عمراً لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، وكان معروفاً لديهم مشهوراً بينهم بأنه الصادق الأمين العاقل الرزين ، ثم اجتباه الله لحمل دعوته وتبليغ رسالته وهو على رأس الأربعين ونزل عليه روحاً من أمره قرآناً عربياً مبيناً غير ذى عوج ، واستغرق تنزيل القرآن عليه ثلاثاً وعشرين سنة تقريباً هي بقية عمره صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد مكث فى مكة ثلاث عشرة سنة منها يدعو قومه إلى الإيمان بدعوته واعتناق رسالته والإنضواء تحت رايته ولكنهم ناوءوه وعاندوه ، وحاربوه وطاردوه ، وجحدوا برسالته واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وآذوه هو ومن آمن به وهم قليل ، وبالغوا فى إيذائهم واضطهادهم حتى اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى أرض الحبشة ، ثم هاجروا جميعاً إلى المدينة المنورة فعاش بها رسول الله باقى عمره وهو عشر سنوات، وكان القرآن يتنزل عليه أثناء إقامته بمكة قبل الهجرة .وأثناء إقامته بالمدينة بعد الهجرة .

ومن هنا قسم العلماء سور القرآن إلى قسمين : مكى ومدنى، وهذا التقسيم باعتبار الغالب والكثير وإلا فإن بعض السور المكية توجد فيها آيات مدنية وهو كثير فى القرآن ، وبعض السور المدنية توجد فيها آيات مكية وهو قليل فى القرآن .

وعنوا بدراسة القسمين عناية تامة واهتموا بهما اهتماماً بالغاً حتى صار « المكي والمدنى » مبحثاً مهما من مباحث علوم القرآن ، وأفرده بعضهم بالتأليف كمكى بن أبى طالب وعز الدين الدرينى وغيرهما .

فوائد معرفة هذا المبحث

لدراسة هذا المبحث ومعرفته والوقوف على مكى القرآن من مدنيه فوائد عظيمة ومنافع كثيرة قويمة منها :

١ – إبراز إهتمام المسلمين بالقرآن الحكيم والاستدلال على سلامته من التحريف والتغيير فإنهم لم يكتفوا بحفظه ونقله خلفا عن سلف بل أجهدوا أنفسهم وأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم فى دراسته واستخراج درره والمحافظة عليه حتى عرفوا ما نزل منه أولا وتاليا ، صيفاً وشتاءاً ، ليلا ونهاراً ، سفرا وحضرا ، مفرداً ومشيعاً ، قبل الهجرة وبعدها ، فى مكة والمدينة وغيرهما ... إلى غير ذلك من الأمور الدالة على قداسته عندهم وعظيم منزلته لديهم وجهادهم باذلين النفس والنفيس فى سبيل صونه والتحرز عليه من أن تمتد إليه يد عابث مفسد .

٢ – تمييز الناسخ من المنسوخ وذلك إذاجاء فى القرآن فى موضوع واحد آيتان متعارضتان مختلفتا الحكم ولم يمكن التوفيق والجمع بينهما جمعاً حسناً ، فحين نعلم أن إحداهما مكية والأخرى مدنية نحكم بأن المدنية ناسخة لحكم المكية لتأخر المدنية عنها فى النزول وينتفى التعارض ، ولا يتأتى هذا إلا بدراسة هذا المبحث .

٣ – معرفة تاريخ التشريع الإسلامي وبيان أن الله تعالى رءوف لطيف بعباده حكيم فى تشريعاته حيث إنه لم ينزلها مرة واحدة ولم يأمر الناس بها

طفرة وإنما نزلها بالتدريج وبدأ بتقديم الأصول على الفروع وسار بالمسلمين إلى الكمال رويدا حتى يألفوا ويأنسوا ويقبلوا على الدين بروح وثابة ونفس منشرحة وصدر مثلج :

أخرج البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبداً ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإنى لجارية ألعب : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده[1] » .

وهذا منهج انتهجه الإسلام قبل الهجرة وبعدها حتى آتى ثماره وكمل الدين الحنيف ، وهو مسلك يدل على سمو السياسة الإسلامية وكمالها فى تربية الفرد والجماعة وعلى سبق الإسلام للعصر الحديث فى أسلوب التربية السليم ومنهجها القويم .

٤ — معاونة دارس القرآن الكريم على فهمه فهماً جيداً وعدم الزلل فى تفسيره ففى القرآن العظيم آيات تحتاج — لعدم الخطأ فى فهمها وتبيينها — إلى معرفة هذا المبحث ودراسته فمثلا : سورة الكافرون : « قل يا أيها

---

(١) ج ٦ ص ٢٢٨ كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن : صحيح البخارى ، والآية المذكورة من سورة القمر ٤٦ .

الـكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لـكم دينكم ولي دين » . إذا قرأها المرء جاهلا بزمن نزولها ومكانه وسببه حار في معناها والتبس عليه مرماها، وقد يقع في نفسه أنها تدعو إلى الموقف السلبي من الـكفار والعزلة عنهم وأن الجهاد غير مأمور به ، لـكن حينما يعلم أنها نزلت في مكة حين طلب صناديد المشركين وزعماؤهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهـــه سنة فانه يفهم السورة فهماً طيباً موافقاً لمغزاها ويدرك أنها تمثل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية وطوراً من أطوارها .

ومن هنا حث العلماء الأجلاء على دراسة هذا المبحث والعناية بفهمه وهضمه بل حرم بعضهم على من لم يفهمه ويعرفه حق المعرفة التحدث في كتاب الله تعالى والإشتغال بتفسيره ، قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتابه (التنبيه على فضل علوم القرآن) :

« من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطاً وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي ، وما نزل بمكة في أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي ، ثم ما نزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، ثم ما نزل ليلا ، وما نزل نهاراً ، وما نزل مشيعاً ، وما نزل مفرداً ، ثم الآيات المدنيات في السور المكية ، والآيات المكية في السور المدنية ، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة ،

وما حمل من المدينة إلى مكة ، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ، ثم ما نزل مجملا ، وما نزل مفسراً ، وما نزل مرموزاً ، ثم ما اختلفوا فيه فقال بعضهم : مدني .

هذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى اهـ[1] .

---

(١) جـ ١ ص ١٩٢ البرهان للزركشي و جـ ١ ص ٨ الإتقان للسيوطي.

تعريف المكى والمدنى

اختلف العلماء فى تعريف المكى والمدنى من القرآن ولهم فى هذا اصطلاحات ثلاثة :

الأول : وعليه الجمهور أن المكى هو : مانزل قبل تمام الهجرة ، وتمام الهجرة ببلوغه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، ويدخل فى هذا ما نزل بمكة وما نزل بغير مكة وما نزل أثناء سفر الرسول إلى المدينة وهجرته إليها .

والمدنى هو : ما نزل بعد تمام الهجرة سواء نزل بالمدينة أم بمكة أم بسفر من الأسفار، أخرج أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى[1] بسنده عن يحيى بن سلام

---

(١) فى نسخة من «البرهان» للزركشى أنه أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، وفى نسخة أخرى منه أنه أبو عمرو عثمان بن سعيد الدارمى ، وأختار الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم محقق البرهان التسمية التى فى النسخة الثانية وقال عن الأولى إنها محرفة ، وفى «الإتقان» للسيوطي أنه عثمان بن سعيد الرازى ، وكل العلماء الذين كتبوا فى المكى والمدنى اكتفوا بنقل التسمية التى فى الإتقان واعتمدوا عليها ، والذى أراه أن ما جاء فى النسخة الأولى من البرهان المتهمة من المحقق بتحريف الاسم فيها هو الحق لأن الإسم المذكور ينطبق على الدانى ولأن الدرامي المحدث اسمه : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ابن بهرام ت ٢٥٥ هـ وأن لفظ « الرازي » الذى جاء فى الإتقان صوابه الدانى ، أنظر جـ ١ ص ١٨٨ البرهان للزركشى وجـ١ ص٩ الإتقان للسيوطي.

قال : ما نزل بمكة وما نزل فى طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فهو من المكى ، وما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدنى ا هـ .

وهذا التعريف لوحظ فيه زمان النزول ، وهو تعريف راجح صحيح لأنه حاصر ضابط ولا يرد عليه ما ينقضه ، وعليه فآية : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . . . »(١) مدنية مع أنها نزلت فى جوف الكعبة عام فتح مكة ، وآية : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً . . . »(٢) مدنية وإن كانت نازلة فى مكة عشية يوم عرفة وكان يوم الجمعة عام حجة الوداع .

وينبغى أن يعلم أن ما نزل قبل الهجرة بمكة من قرآن يكون مكى النزول زماناً ومكاناً ، وما نزل قبل الهجرة فى غير مكة يكون مكى النزول زماناً لا مكاناً .

وكذلك الحال بالنسبة للقرآن المدنى : فما نزل بعد الهجرة بالمدينة منه يكون مدنى النزول زمانا ومكاناً ، وما نزل بعد الهجرة فى غير المدينة يكون مدنى النزول زماناً لا مكاناً ، والمعول عليه هو الزمان كما مر بك .

الثانى : أن المكي هو : ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، ويدخل فى مكة

---

(١) سورة النساء ٥٨ .
(٢) سورة المائدة ٣ .

ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية لأن ما قارب الشيء يأخذ حكمه ولأن وجود الرسول خارج مكة قبل الهجرة وضع عارض غير دائم .

والمدنى : ما نزل بالمدينة : ويدخل فى المدينة ضواحيها كبدر وقباء وأحد وسلع (بفتح السين وسكون اللام جبل بالمدينة المنورة) .

وهذا التعريف لوحظ فيه مكان النزول ، ويترتب عليه أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكياً فمثلا سورة الفتح تكون مكية لأنها نزلت بالحديبية أو فى أثناء خروجه صلى الله عليه وآله وسلم منها .

وهذا التعريف مرجوح لأنه غير جامع ولا حاصر وتترتب عليه الواسطة ففى القرآن آيات نزلت فى السفر بعيداً عن مكة والمدينة وضواحيهما فلا تعد مكية ولا مدنية على هـذا التعريف كقوله تعالى : « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة »[1] الآية ، فانها نزلت بتبوك ، وقوله تعالى: «إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»[2] الآية فانها نزلت بالجحفة والنبي مهاجر إلى المدينة ، وقوله تعالى : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون »[3] ، فانها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج ، وقوله تعالى : « وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم »[4] فانها نزلت بالطريق أثناء الهجرة .

---

(١) سورة التوبة ٤٢ .
(٢) سورة القصص ٨٥ .
(٣) سورة الزخرف ٤٥ .
(٤) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ١٣ .

فوجود الواسطة فى التعريف يخل به ويجعله معيباً .

الثالث : أن المكى هو : ما كان خطابا لأهل مكة ، والمدنى : ما كان خطاباً لأهل المدينة .

ويحمل على هذا التعريف ما نسب إلى بعض السلف كعبد الله بن مسعود رضى الله عنه ويحيى بن سلام وميمون بن مهران من أنهم قالوا : كل شىء نزل فيه «يا أيها الناس» فهو بمكة ، وكل شىء نزل فيه «يا أيها الذين آمنوا» فهو بالمدينة[1] .

وهذا لأن أهل مكة يغلب عليهم الكفر فخوطبوا بـ « يا أيها الناس » وإن كان غيرهم داخلا فيهم ، وأهل المدينة يغلب عليهم الإيمان فخوطبوا بـ « يا أيها الذين آمنوا » وإن كان غيرهم داخلا فيهم .

وهذا التعريف لوحظ فيه أشخاص المخاطبين وأسلوب القرآن ، وهو تعريف ضعيف ، والكلام المعزو إلى ابن مسعود وغيره من السلف غير جامع لأنهم قصروا الخطاب على صيغتين خاصتين من صيغ الخطاب وألوانه ولم يجعلوه فى مطلق خطاب كما هو صريح التعريف الثالث فكيف يكون الأخص عين الأعم ؟ ؟

وقد صرح أبو الحسن بن الحصار المالكى وغيره من فطاحل العلماء بضعف الأثر الوارد فى ذلك عن ابن مسعود وغيره من السلف[2] .

---

(١) جـ ١ ص ١٨٩ البرهان للزركشى وجـ ١ ص ١٧ الإتقان للسيوطى .

(٢) انظر جـ ١ ص ١٧ الإتقان للسيوطى ، وابن الحصار هو : أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزرجى الأشبيلى ت ٦١١ هـ .

ولأن في القرآن آيات كثيرة خالية من البدء بـ « يا أيها الناس » و « يا أيها الذين آمنوا » ، وفيه آيات مدنية بدئت بيا أيها الناس كقوله تعالى : « يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم » الآية ، وقوله تعالى : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان . . »[1] الآية ، وقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . . . »[2] الآية ، وغيرها من الآيات المبدوءة بهذا النداء وهى آيات مدنية فى سور مدنية .

وفيه آية مكية بدئت بيا أيها الذين آمنوا وهى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم . . . »[3] الآية على القول بأن سورة الحج مكية .

ولأن فى القرآن سوراً فيها خطاب للرسول وحده وليس فيها خطاب لأهل مكة أو لأهل المدينة كسورة الكوثر والمعوذتين ، فمن أى القسمين تكون ؟ .

ولأن فى القرآن سوراً خالية من مطاق الخطاب كسورة الشمس ، والعاديات ، والمسد ، فإلى أى القسمين تنسب ؟

ولأن أهل مكة أسلموا بعد فتحها ودخلوا فى دين الله أفواجا وصار الخطاب لجميع المسلمين فى مكة والمدينة وغيرها فكيف نميز المكى من المدنى بعد الفتح ؟ .

---

(١) سورة البقرة ٢١ – ١٦٨ .
(٢) سورة النساء ١ . (٣) سورة الحج ٧٧ .

ومما تقدم نعلم أن التعريفين الأخيرين مرجوحان لأن كلا منهما تترتب عليه الواسطة وعدم الضبط والحصر لجميع أجزاء القرآن وهذا مما يخل بالتعريف الاصطلاحي ، وأن التعريف الثالث أشد ضعفاً .

أما التعريف الأول فهو الراجح والأشهر لأنه حاصر شامل لجميع أجزاء القرآن لا يخرج منه شيء ، وهو الموافق لمقصود الصحابة الكرام بهذين اللفظين مثل قولهم : نزلت سورة كذا بمكة ، ونزلت سورة كذا بالمدينة ، أو نزل كذا من السور بمكة ، ونزل كذا من السور بالمدينة .

ومرادهم من هذا التعبير أن ما نزل بمكة نزل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مقيم بها قبل أن يهجرها ويرحل عنها ، وأن ما نزل بالمدينة نزل والنبي مقيم بها إلى أن انقطع الوحي وانتقل إلى الرفيق الأعلى .

الطريق إلى معرفة المكي والمدني من القرآن

لمعرفة المكي والمدني من القرآن طريقان :

الأول : النقل الصحيح عن الصحابة الذين عايشوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشاهدوا عصر الوحي والتنزيل ووقفوا على الملابسات التي أحاطت بالوحي ، والنقل الصحيح عن التابعين الآخذين عن الصحابة المتتلمذين عليهم .

ولم يرو عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شيء في تمييز المكي والمدني وتحديدهما لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا معاصرين للرسول وحضروا أماكن نزول القرآن وأوقاته وأسباب نزوله وعرفوا ذلك بأنفسهم فلم يكونوا في حاجة إلى بيان منه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو نطق الرسول ببيان مكية آية أو سورة ، أو ببيان مدنية آية أو سورة لظهر ذلك وانتشر ودون في كتب السنة واشتهر .

ومما يدل على علم الصحابة رضي الله عنهم بمكي القرآن ومدنيه قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما أخرجه عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما : « والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم

أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[1] » .

وقول أيوب بن كيسان السختيانى الذى أخرجه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى كتابه حلية الأولياء : سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال : نزلت فى سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع[2] .

وعرف عكرمة مولى ابن عباس هذا من الصحابة الأجلاء لأنه من التابعين الذين لم يدركوا رسول الله ﷺ ولم يروه ولم يحضروا نزول الوحى عليه .

والاعتماد على الروايات الصحيحة المنقولة عن الصحابة الكرام أو التابعين العظام لا يتنافى معه إعمال العقل والفكر — عند التعارض — بالجمع بينهما أو الترجيح ، فقد يوجد اختلاف فى مكية بعض السور أو مدنيتها ، وفى استثناء آيات مدنية من سورة مكية ، أو آيات مكية من سورة مدنية ، وفى ترتيب السور المنزلة بمكة ، والسور المنزلة بالمدينة ، كالاختلاف فى مكية سورة الفاتحة أو مدنيتها والراجح أنها مكية ، والاختلاف فى مكية سورة

---

(١) جـ ٦ ص ٢٣٠ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم : صحيح البخارى ، وجـ ٥ ص ٣٢٦ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه : صحيح مسلم بشرح النووى .

(٢) انظر جـ ٣ ص ٣٢٧ حلية الأولياء للأصبهانى فى ترجمة عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما .

النساء أو مدنيتها والراجح أنها مدنية ، والاختلاف فى مكية سورة يونس (عليه السلام) أو مدنيتها والراجح أنها مكية .

وقد عقد الإمام جلال الدين السيوطى فى كتابه الإتقان فصلا نفيساً حرر فيه السور المختلف فى مكيتها أو مدنيتها ، والآيات المختلف فى مكيتها أو مدنيتها من بعض السور ، وعالج السيوطى الاختلاف بضرب من الاجتهاد وإعمال العقل والفكر فراجعه إن شئت[1] .

الطريق الثانى :

الذى يمكن به معرفة المكى والمدنى من القرآن هو الطريق القياسى وهو عباره عن ضوابط كلية يعرف بها كل منهما وإليك هذه الضوابط .

---

(١) جـ ١ ص ١٢ وما بعدها من الإتقان .

ضوابط كل من المكى والمدنى

توجد ضوابط كلية وعلامات مميزة بها يعرف المكي والمدنى من القرآن ، وهي علامات واضحة ترجع تارة إلى اللفظ وتارة إلى أمور معنوية ، وكلها مستقاة من الاستقراء للقرآن والتتبع له ، وليست هذه العلامات والسمات موجودة فى كل السور القرآنية وإنما توجد فى بعض السور دون البعض الآخر ، فإن وجدنا شيئاً منها فى سورة علمنا أنها مكية أو مدنية ، وهاك هذه الضوابط والعلامات :

ضوابط المكي وعلاماته :

١ — كل سورة فيها كلمة « كلا » فهى سورة مكية ، وقد ذكرت هذه الكلمة فى القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة فى خمس عشرة سورة كلها فى النصف الأخير من القرآن لأن النصف الأخير نزل أكثره قبل الهجرة وأكثر أهل مكة جبابرة عتاة غلاظ القلوب أصحاب غطرسة وصلف وعنجهية وعناد فتكررت فيه على سبيل التهديد والوعيد والزجر والردع ، قال العز الدرينى :

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ∴ ولم تأت فى القرآن فى نصفه الأعلى

٢ — كل سورة فيها قسم بمخلوق من المخلوقات كالطور والنجم والفجر والشمس والليل وغير ذلك من أنواع المخلوقات المقسم بها فهى سورة مكية .

٣ — كل سورة بدئت بحرف من حروف المعجم — وهي تسع وعشرون

سورة — تعد مكية مثل سورة الأعراف وهود ويوسف (عليهما السلام) والقلم وغيرها إلا الزهراوين البقرة وآل عمران فهما سورتان مدنيتان بالإجماع ، أما سورة الرعد ففيها خلاف بين العلماء والظاهر مكيتها .

٤ — كل سورة فيها آية سجدة تعد سورة مكية ، وفي سورة الحج خلاف بين العلماء فقيل إنها مكية ، وقيل إنها مدنية ، وقيل إنها مختلطة فيها مكي ومدني وهو رأي الجمهور .

٥ — كل سورة تتحدث عن قصص الأنبياء والأمم الماضية فهي سورة مكية إلا سورتي البقرة وآل عمران فهما مدنيتان .

٦ — كل سورة تخبر عن قصة آدم عليه السلام وإبليس فهي سورة مكية إلا سورة البقرة فانها مدنية .

ضوابط المدني وعلاماته .

١ — كل سورة تتحدث عن الجهاد في سبيل الله أو ما يتعلق به ويدور حوله كالمعاهدات والصلح والغنيمة فهي سورة مدنية .

٢ — كل سورة تخبر عن المنافقين وتكشف أحوالهم وتسرد مثالبهم وتفضح تآمرهم على الإسلام والمسلمين فهي سورة مدنية ما عدا سورة العنكبوت ففيها خلاف بين العلماء والظاهر أنها سورة مكية إلا الآيات الأولى منها وهي إحدى عشرة آية فانها مدنية .

٣ — كل سورة فيها ذكر الحدود كحد الزنا والسرقة وغيرها ، أو فيها ذكر فريضة الميراث فهي سورة مدنية .

مميزات كل من المكى والمدنى وخواصهما

يراد بالمميزات ما عنى به كل منهما من المقاصد والأغراض واهتم به عن الآخر ، وهى أمور دقيقة يتوقف العلم بها على شىء من الفكر والتأمل وإمعان النظر والإلمام بعلوم اللغة العربية وفنونها ، وإليك هذه المميزات والخواص :

مميزات القسم المكى وخواصه :

١ — الدعوة إلى الإيمان بالأصول الاعتقادية والعناية بها كالإيمان بالله وتوحيده والاعتقاد بأنه موصوف بكل كمال منزه عن أدنى نقص ، والإيمان بجميع ملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وما فيه من بعث ونشور وحساب وجزاء ، وإقامة الأدلة العقلية والكونية والأنفسية على ذلك .

وكان هذا من مميزات القسم المكى لأن العرب كانوا أصحاب أوثان عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وكانوا أصحاب معتقدات زائفة وأفكار زائغة بعيدة عن الحق والعقل والواقع كاعتقادهم أن الملائكة بنات الله ، وأن رسل الله لا يمكن أن يكونوا من البشر ، وأن إعادة الأموات وبعثهم ومجازاتهم أمر محال ولا حياة إلا حياتهم الدنيوية التى يلهون فيها ويلعبون ، فجاء القرآن وهدم أفكارهم الباطلة وفند مزاعمهم وسفه أحلامهم ونعى عليهم خفة عقولهم وسفاهة سلوكهم لعكوفهم

على عبادة أصنام لا تملك لأنفسها جلب نفع ولا دفع ضر فضلا عن غيرها ، ووجههم إلى الوجهة الصحيحة والسبيل الرشيدة في أصول العقيدة شاحذا هممهم مستثيراً عقولهم وأفكارهم لافتا أنظارهم إلى ما في الكون الفسيح والأنفس من أدلة قوية وآيات واضحة وعلامات بارزة شاهدة على وحدانية الله سبحانه وقدرته على كل شيء .

فهم حينما أشركوا بالله واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزا رد الله عليهم بقوله : «قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيراً[1]» ، وقوله : «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون[2]» ، وقوله : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[3]» .

وحينما افتروا على الله الكذب وزعموا أن الملائكة بناته رد الله عليهم بقوله : «بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم[4]» ، وقوله : «أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيما[5]» ، وقوله : «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون[6]» .

---

(١) سورة الإسراء ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢) سورة الأنبياء ٢٢ .
(٣) سورة المؤمنون ٩١ .
(٤) سورة الأنعام ١٠١ .
(٥) سورة الإسراء ٤٠ .
(٦) سورة الزخرف ١٩ .

وحينما طلبوا أن يكون الرسول ملكا رد الله عليهم فقال : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ،ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون[1] » ، وقال : «ومامنع الناس أن يؤمنوا إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا ، قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا[2] ».

وحينما أنكروا البعث واستبعدوه بعلة تفتت الأجسام وتحللها وزوالها رد الله عليهم فقال :«قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير[3] » ، وقال : «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه[4] » ، وقال : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . » .. إلخ[5] .

وغير هذا من الآيات الدالة على المعانى السابقة والتى يطول ذكرها .

٢ — العناية بالقضاء على ما كان فيهم من عادات فاسدة وتقاليد مرذولة ومثالب مبغوضة كسفك الدماء لأتفه الأسباب وبغير حق ، ووأد البنات خشية الإملاق وخيفة العار ، وأكل أموال اليتامى ظلماً ، وارتكاب الزنا ، وإكراه الفتيات على البغاء ، وتحريمهم أشياء على أنفسهم وإحلالهم أشياء

(١) سورة الأنعام ٨–٩ .
(٢) سورة الإسراء ٩٤–٩٥ .
(٣) سورة العنكبوت ٢٠ .
(٤) سورة الروم ٢٧ .
(٥) سورة ق ٦ – ١١ .

أخرى لأنفسهم تتصل بالمأكل والمشرب والمنكح ، وغير هذا مما هو خاضع لهوى نفوسهم نابع من تزيين شياطينهم ولم ينزل الله به من سلطان .

فخلع القرآن الكريم هذه القبائح والمنكرات من نفوسهم ومحاها من سلوكهم وحذرهم منها وتوعدهم على العودة إليها والوقوع فيها مترفعاً بهم عن حمأة الرذيلة سامياً بهم إلى الطهر والنقاء .

وهذا بحسب الغالب لأن فى القسم المدنى آيات تعنى بالقضاء على تلك الموبقات وتحذر من الوقوع فيها وتتوعد فاعليها كقوله تعالى :

« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » ، وقوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما[1] » ، وقوله : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء[2] .

٣ ــ العناية بالدعوة إلى أصول التشريعات العامة واستثارة كوامن الخير فى أنفسهم وغرس الآداب وأمهات الفضائل والمكارم فيهم كالسخاء ، والصفح عن المسىء ، والصبر ، والعدل ، والتواضع ، والعفاف ، وصلة الرحم ، والصدق فى القول والعمل ، وترسيخ كل ما يندرج تحت القواعد الكلية التى أطبقت عليها الشرائع السماوية وهي : حفظ الدين والنفس والعقـــل والمال والنسب .

---

(١) سورة النساء ١٠ ــ ٩٣ .
(٢) سورة النور ٣٣ .

وهذه الميزة باعتبار الغالب إذ توجد آيات مدنية فى سور مدنية تتحدث عن بعض هـذه الخلال الجميلة والخصال النبيلة وتدعو إليها وتحث على التحلى بها .

٤ — العناية بذكر قصص الأنبياء والأمم الغابرة كقصة نوح وإبراهيم وهود وصالح وموسى عليهم السلام .

وفى ذكر قصصهم فى القسم المكي أبلغ العظات وأنفع العبر

ففيه إخبار بأن دعوة جميع الأنبياء والرسل واحدة متفقة فى الأصول . وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان فى مكة ضيق الصدر من عدم إيمان قومه به حزين النفس كئيب البال كسيف الحال من معارضتهم له وتصديهم لدعوته وافترائهم عليه وتوالى إيذائهم له ولمن آمن به ، وقد صور القرآن ذلك فى آيات مكية من سور مكية كقوله تعالى : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون(١)» « فعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ... الآية(٢) » ، ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون .. الآية(٣) » ، « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً(٤) » ، أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من

---

(١) سورة الأنعام ٣٣ .
(٢) سورة هود عليه السلام ١٢ .
(٣) سورة الحجر ٩٧ .
(٤) سورة الكهف ٦ .

يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات[1]، وغير هذا من الآيات .

وقد سرى الله عن رسوله ورفّه عنه وسلاه بآيات ذكره بمننه عليه وطمأنه إلى عدم تخليه عنه ودعاه إلى الصبر والاقتداء بالرسل السابقين كقوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »[2] ، « ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم »[3] ، « ما ودعك ربك وما قلى »[4] ، « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم »[5] ، « وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك »[6] ، وغيرها من الآيات .

وفيه تقرير لسنته تعالى التى لا تتبدل فى كونه وهى نصر المؤمنين برسل الله تعالى الواقفين عند حدوده المطبقين لشرائعه ، وتدمير الأمم المكذبة لرسلها الخارجة عن تعاليم ربها ، وفى هذا تخويف لأهل مكة ودعوتهم إلى الاتعاظ والحذر والاعتبار بغيرهم .

وقد جاء هذا المعنى فى آيات كثيرة كقوله تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل

---

(١) سورة فاطر ٨ .
(٢) سورة طه ٢ .
(٣) سورة القلم ٢ - ٤ .
(٤) سورة الضحى ٣ .
(٥) سورة الأحقاف ٣٥ .
(٦) سورة فاطر ٤.

لكلمات الله[1] » ، « حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء..[2] » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[3] » ، « فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ، ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين[4] »، « ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين[5] » .

ثم إن في إيراد قصص الأنبياء في القرآن قبل الهجرة برهانا ساطعاً ودليلا قاطعاً على أن القرآن وحي يوحى من الله تعالى إلى رسوله إذ لو تأخر ذكر قصصهم إلى ما بعد الهجرة لقال الكفار وأصحاب الهوى والنفوس المريضة والعقول المهيضة تعلمه الرسول بالمدينة من أهل الكتاب ، فسد الله عليهم هذا الباب وأوصده في وجوههم بذكر قصص الأنبياء في القسم المكي .

وصدق الله الحكيم العليم في قوله : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب[6] » .

فكل سورة تضمنت قصة نبي من الأنبياء تعد سورة مكية ، وتستثنى

---

(١) سورة الأنعام ٣٤ .
(٢) سورة يوسف عليه السلام ١١٠ .
(٣) سورة غافر ٥١ .
(٤) سورة يونس عليه السلام ١٠٢ – ١٠٣ .
(٥) سورة الروم ٤٧ .
(٦) سورة يوسف ١١١ .

سورة البقرة فهى مدنية على الرغم من تحدثها عن بعض الأنبياء ، وكذلك سورة آل عمران .

٥ — كثرة تهديد المعاندين وزجرهم لقوة شكيمتهم وصلابتهم فى الباطل وعنادهم وتمردهم على الدين واضطهادهم المؤمنين ، والآيات فى هذا كثيرة كقوله تعالى : « فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم إن كيدى متين[١] » ، «وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ، إن لدينا أنكالا وجحيما ، وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ، يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا[٢] » ، إنهم يكيدون كيدا، وأكيد كيدا ، فمهل الكافرين أمهلهم رويدا[٣] » .

وإذا قرأت فى السور المكية كسورة القمر والحاقة والمعارج والمدثر وغيرها وجدت للايات وقعاً شديداً وجرساً قوياً وألفاظاً جزلة تصخ الآذان وتقرع المسامع وتحمل الكافرين على اجتناب أوثانهم والانتظام فى سلك المؤمنين .

٦ — قصر آيات القسم المكى وسوره ، وكثرة الألفاظ التى تحتاج لفهمها ومعرفة معناها إلى الرجوع إلى المعاجم اللغوية فمثلا نرى فى سورة القلم : « تدهن فيدهنون » ، «هماز مشاء بنميم» ، «عتل بعد ذلك زنيم»،«سنسمه على الخرطوم»،«ليصرمنها»،«كالصريم،«حرد»،«مكظوم»،«ليزلقونك» .

---

(١) سورة القلم ٤٤ — ٤٥ .
(٢) سورة المزمل ١١ — ١٤ .
(٣) سورة الطارق ١٥ — ١٧ .

ونرى فى سورة المدثر : الرجز ، نقر فى الناقور ، صعودا ، عبس وبسر ، لواحة للبشر ، مستنفرة ، قسورة .

ونرى في سورة العاديات : ضبحا ، الموريات قدحا ، نقعا ، كنود .

وهو وضع يناسب العهد المكي لأنه كان عهد إرساء لقواعد الدين لا عهد تشريع وتفريع ، ولأن أهل مكة كانوا أرباب الفصاحة والبيان وفرسان البلاغة واللسان ويفهمون بسرعة ما تشير إليه الآيات من معان ولا يحتاجون إلى بسط وتفصيل لمرامى الآيات ومقاصدها ، فكان من المناسب لهم الإيجاز لا الإطناب والإسهاب ، ولأن بعضهم كان يضطهد الرسول والمؤمنين به ويبالغ فى إيذائهم فحين تجىء الآيات والسور المكية قصيرة الحجم فخيمة الألفاظ فخمة المعانى يكون جرسها قويا تخفق له قلوبهم وتقشعر جلودهم، ووقعها عليهم شديداً يهزهم هزاً ، وتكون بمثابة الصواعق والقوارع التى تطير لها قلوبهم هلعاً وفزعا والتى تلاحقهم ولا تدع فرصة يلتقطون فيها أنفاسهم ، وهو اللائق بحالهم ومواقفهم إذ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وهذه الميزة والعلامة أغلبية وليست مطردة إذ توجد فى القرآن سور مدنية قصيرة الحجم وكذلك آياتها كسورة الزلزلة والنصر وغيرهما .

مميزات القسم المدنى وخواصه :

١ — العناية ببيان قواعد التشريع والأحكام العملية المنوطة بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ، والمعاملات والفرائض والحدود والنكاح

والأطعمة ونحوها ، وتفصيلها تفصيلا شاملا وبسطها بسطاً دقيقاً لأن المسلمين لما هاجروا إلى المدينة واتخذوها مأوى لهم وطاب مقامهم بها واستقرارهم فيها وقد ثبتت الأصول الاعتقادية في نفوسهم ورسخت أسس الدين في قلوبهم واشتد عود الإسلام وقوي شأنه وازداد عددهم وتنوع سكان المدينة إلى مهاجرين وأنصار ومنافقين ويهود احتاج المسلمون إلى تشريعات كثيرة تتناسب مع تأسيس دولتهم وتنظيم حياتهم ، وقد اشتملت السور المدنية كسورة البقرة والنساء والمائدة والنور والأحزاب والطلاق ونحوها على التشريعات العظيمة المتعددة والأحكام الكثيرة المتنوعة .

٢ - الكشف عن أحوال المنافقين ومواقفهم من الدعوة وإظهار خباياهم وتعداد قبائحهم ودسائسهم وبيان مكايدهم للاسلام والمسلمين وما فيهم من صفات خسيسة كالحسد والمكر والخداع والجبن والهلع وحب المال والحرص على جمعه بلا بذل مجهود ، فهم حين يحضرون مع المسلمين غزوة إنما يحضرونها لأجل الغنيمة وحدها ، وإن انتصر المسلمون وغنموا فرح المنافقون لما سينالونه من غنيمة لا لنصرهم ، وإن لم يحضروا معركة وانتصر المسلمون وغنموا منها حزنوا أشدالحزن وعضوا أناملهم من الغيظ للنصيب الذى فاتهم من الغنيمة مع أنه متاع زائل وعرض حائل ، وقد وردت أوصافهم السيئة وطبائعهم القبيحة في آيات كثيرة من سور متعددة كسورة البقرة والنساء والتوبة والعنكبوت والأحزاب والحشر وغيرها بل خصهم الله بسورة سماها سورة المنافقون .

ولم يظهر النفاق في مكة لأن المسلمين كانوا ضعافا فيها وكانت الغلبة

والقوة للمشركين ، أما فى المدينة فكانت الكلمة العليا والغلبة والعزة والقوة فى جانب المسلمين مما دفع بعض المقيمين بالمدينة من ضعاف الإيمان الرافضين للاسلام إلى ركوب حيلة الخداع والنفاق بدلا من إعلان الكفر والشقاق ، وكانوا بإبطانهم الكفر وإظهارهم الإسلام ومخالطتهم المسلمين أخطر على الإسلام والمسلمين من الكفرة المعلنين ولذا استحقوا أن يكونوا فى الدرك الأسفل من النار .

ولا ريب أن فى بيان صفاتهم وفضح طباعهم وخبث نواياهم تعريفا بهم للمسلمين ليحذروهم ويأمنوا مكرهم ويحترسوا من شرهم .

٣ – دعوة أهل الكتاب اليهود والنصارى إلى الدخول فى الإسلام والانتظام فى سلك هدايته والاستظلال برايته ، ومناقشة عقائدهم وأفكارهم وإظهار ما فيها من زيغ وبطلان مع ذكر البراهين الواضحة والحجج البينة ، وبيان تحريفهم لكتب الله المنزلة والجنايات التى ارتكبوها فى حق أنفسهم وحق غيرهم من الخلائق وبعدهم عن الحق والصواب ، وجاء هذا فى آيات كثيرة كقوله تعالى : «وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا» ... الآية ، «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله[1]» ، «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً» : الآية ،

---

(١) سورة آل عمران ٢٠ – ٦٤ .

«ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام : الآية[1] » ، « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[2] » ، «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا» : الآية[3] ، «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » : الآية[4] ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

٤ ــ الاستفاضة فى الحديث عن الجهاد فى سبيل الله وتفصيل الكلام فيه وما يتصل به كالصلح والمعاهدات والغنيمة والأسارى وغير هذا مما له ارتباط به إذ أن الجهاد لم يشرعه الله إلا والمسلمون بالمدينة المنورة بنوره صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا فى سورة البقرة والأنفال والتوبة والفتح وغيرها من السور .

٥ ــ طول آيات القسم المدنى وسوره ، وقلة الألفاظ التى تحتاج لفهمها إلى المعاجم اللغوية ، وهو راجع إلى أن أهل المدينة كانت نفوسهم وقلوبهم مهيأة ومستعدة لتلقى الدعوة الإسلامية وقبولها بصدر رحب ، ولم يصلوا إلى ما وصل إليه أهل مكة فى الفصاحة والبلاغة والألمعية وسرعة الخاطر والبديهة فكان حالهم وواقعهم يستدعى الإطناب والإسهاب فى القول ، ولأن العهد المدنى كان

(١) سورة المائدة ١٧ ــ ٧٥ .

(٢) سورة البقرة ١١١ .

(٣) سورة البقرة ٧٩ .

(٤) سورة النساء ٤٦ .

عهد تشريع وتفريع وبنيان دولة والموضوعات التى تناولها هذا العهد اقتضت البسط والتفصيل والتوضيح والسهولة وهذا يستلزم طول الآيات والسور .

وهذه الميزة والعلامة أغلبية وليست مطردة إذ توجد في القرآن آيات طويلة فى سور طويلة وهي مكية كسورة الأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف وغيرها .

السور المكية والسور المدنية

أجمع العلماء الأجلاء على أن القرآن الكريم ١١٤ (أربع عشرة ومائة سورة) ، وعلى أن المكي منه أكثر من المدنى[1] فالمكي منه نحو ١٩ / ٣٠ ، والمدنى منه نحو ١١/٣٠ .

واختلفوا في تحديد السور المكية والسور المدنية وكثرت فى تعيينها الآراء والأقوال وأقرب الأقوال وأدقها وأولاها بالقبول والذكر قول الإمام أبى الحسن بن الحصار وغيره من فطاحل العلماء وهو أن السور المدنية المتفق على مدنيتها عشرون سورة وهى :

سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والجمعة ، والمنافقون ، والطلاق ، والتحريم ، والنصر .

وأن السور المختلف فى مكيتها ومدنيتها اثنتا عشرة سورة وهى : سورة الفاتحة ، والرعد ، والرحمن ، والصف ، والتغابن ، والمطففين ، والقدر ، والبينة ، والزلزلة ، والإخلاص ، والفلق ، والناس .

---

(١) والنهارى أكثر من الليلى ، والحضرى أكثر من السفرى .

وما عدا هذا من سور القرآن الكريم فهو مكي باتفاق وعدده اثنتان وثمانون سورة[1] .

وقد نقل بعض العلماء الفضلاء في مؤلفاتهم أسماء السور المكية وأسماء السور المدنية وذكروها بحسب ترتيبها في النزول لا بحسب ترتيبها في المصحف كالزركشي والفيروزبادي والسيوطي وغيرهم[2] .

ورتبها بعض المستشرقين من أمثال نولدكه ، ووليم موير ، وغريم ، وويل ، وبلاشير ، وشفالي ، في مؤلفاتهم بحسب ميولهم وأهوائهم دون إقامة وزن واعتبار للروايات والأسانيد الإسلامية المعتمدة وتوكأوا على أساس واه من الأسانيد الضعيفة أحيانا والباطلة الموضوعة أحيانا أخرى .

وينبغي أن يعلم أن حكم العلماء على السورة بأنها مكية يصدق بإحدى حالتين :

الأولى : أن تكون آياتها كلها مكية كسورة المدثر والقيامة والتكوير والعلق فان كل سورة منها آياتها كلها مكية باتفاق العلماء .

الثانية . أن يكون أغلب آياتها مكيا فمثلا سورة هود مكية إلا قوله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات

---

(١) انظر ج ١ ص ١١ الإتقان ، وروى نحو هذا التقسيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر ص ٨ وما بعدها مقدمة كتاب المباني ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان في علوم القرآن .

(٢) انظر ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ البرهان و ج ١ ص ٧٧ - ٩٩ بصائر ذوي التمييز و ج ١ ص ١٠ الإتقان .

ذلك ذكرى للذاكرين[1] فقد صح من عدة طرق أن هذه الآية نزلت بالمدينة في قصة أبي اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصار السلمى مع المرأة التي جاءته تبتاع منه تمرا . وسورة النحل مكية إلا الآيات الثلاث من آخرها : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به : الخ[2] فانها نزلت عقب انتهاء غزوة أحد وتوعد الرسول وأصحابه المشركين لتمثيلهم بشهداء المسلمين في هذه الغزوة ، وسورة الإسراء مكية إلا قوله تعالى : ويسألونك عن الروح : الآية[3] فانها نزلت بالمدينة في إجابة سؤال اليهود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح . وسورة الأحقاف مكية إلا قوله تعالى : قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به : الآية[4] فانها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام .

وأن حكم العلماء على السورة بأنها مدنية يصدق كذلك باحدى حالتين :

الأولى: أن تكون آياتها جميعها مدنية كسورة آل عمران والمائدة والنور والأحزاب والحجرات فان كل سورة منها آياتها كلها مدنية باجماع العلماء.

الثانية: أن يكون معظم آياتها مدنياً فمثلا سورة الأنفال مدنية إلا

---

(١) سورة هود عليه السلام ١١٤ .
(٢) سورة النحل ١٢٦-١٢٨ .
(٣) سورة الإسراء ٨٥ .
(٤) سورة الأحقاف ١٠ .

قوله تعالى : يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين[1] فقد صح عن ابن عباس أنها نزلت بمكة لما أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه[2] ويزكى هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن ماجه بسنده عن عائشة رضى الله عنها : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة » ، وقول عبد الله بن مسعود فيما أخرجه البخارى بسنده عنه : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر »[3] .

وسورة التوبة مدنية إلا قوله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم[4] » فأنها نزلت بمكة فى دعوة الرسول عمه أبا طالب قبيل وفاته إلى الدخول فى الإسلام وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له بعد رفضه الإسلام : لأستغفرن لك ما لم أنه عنك[5] .

---

(١) سورة الأنفال ٦٤ .

(٢) انظر جـ ١ ص ١٥ الإتقان و ص ١١٢ لباب النقول وكلاهما للسيوطى .

(٣) انظر جـ ١ ص ٣٩ مقدمة سنن ابن ماجه و جـ ٥ ص ١٤ كتاب المناقب والفضائل باب مناقب عمر رضى الله عنه : صحيح البخارى .

(٤) سوره التوبة ١١٣ .

(٥) انظر الحديث فى جـ ٢ ص ١١٩ كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله و جـ ٥ ص ٦٥ باب قصة أبى طالب وجـ ٦ ص ٨٧ كتاب التفسير سورة براءة : صحيح البخارى و جـ ١ ص ١٨٠ كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت : صحيح مسلم بشرح النووى وهو مروى عن سعيد بن المسيب عن أبيه .

وسورة محمد مدنية إلا قوله تعالى : « وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم »[1] فانها آية مكية لنزولها فى الطريق حين سفر الرسول وهجرته من مكة إلى المدينة .

ومن هنا نرى المصاحف أثناء ذكرها أسماء السور تقول : سورة كذا مكية، وسورة كذا مكية إلا آية رقم كذا أو آيات رقم كذا وكذا وكذا، وسورة كذا مدنية ، وسورة كذا مدنية إلا آية رقم كذا أو آيات رقم كذا وكذا .

وينبغى أن يعلم أن وجود آيات مدنية فى سورة مكية كثير فى القرآن، أما وجود آيات مكية فى سور مدنية فهو قليل جداً فى القرآن الكريم .

---

(١) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ١٣ .

بعض الشبه التي أثيرت حول المكي والمدني في القرآن

وجه المستشرقون والمبشرون ومن سار في ركابهم من الكتاب الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام وهو منهم براء وجهوا مطاعن إلى القرآن العظيم بنية التشكيك في قداسته والتقليل من أهميته حتى يهمله المسلمون ويتخذوه وراءهم ظهرياً ويصير نسيا منسياً فتضعف شوكتهم وتكون لأعدائهم القوة والسيطرة عليهم مع أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن القرآن كتاب سماوي حق ووحي أوحاه الله تعالى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن أهواءهم وتعصبهم للباطل واتباعهم خطوات الشيطان أعماهم عن رؤية النور وأصم آذانهم عن الاستماع لنداء الحق وطبع على قلوبهم فهم لا يهتدون .

وقد قيض الله للقرآن رجالا أشداء وعلماء أجلاء ألباء شمروا عن سواعد الجد ودافعوا عن كتابه وذادوا عن حياضه وكشفوا عن الأغراض السيئة لأعداء دينه وطواياهم الخبيثة وردوا ما أثاروه من طعون « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً »[1] ، وقرروا بالأدلة النقلية والعقلية والكونية عظمة القرآن وإحكام آياته ونزاهته عن أدنى مطعن وبراءته من أقل خلل وصدق الله العظيم في قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر

---

(١) سورة الكهف ٥ .

وإنا له لحافظون » وقوله : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »[1] .

ومن الشبه والطعون التى أثاروها على القرآن شبه على مكيه ومدنية إليك بعضها والإجابة عنها باختصار :

الشبهة الأولى : قالوا إن آيات القسم المكى وسوره قصيرة صغيرة الحجم مفككة والمعانى التى فيها مقتضبة لا تناسق بينها ولا تناسب ، أما القسم المدنى فآياته وسوره طويلة والمعانى التى فيها متناسقة متناسبة .

وسبب هذا أن أهل مكة كانوا قوماً أميين ليست عندهم المقدرة على إنشاء العبارات الطويلة المتناسقة المعانى ، أما أهل المدينة فكانوا قوماً متحضرين وعايشوا أهل الكتاب واندمجوا معهم واستفادوا منهم فكانت عندهم القدرة على النطق بالعبارات الطويلة المتلائمة المنسجمة المعانى .

فالقرآن تأثر بالبيئتين مما يدل على أنه ليس من عند الله .

ونقول جواباً على ذلك : نعم إن القسم المكى قصير الآيات والسور لكن معانيه غير مقتضبة كما يزعم الزاعمون ويفترى المفترون ، وإن من يتأمل أى سورة مكية أو جملة آيات منها وكان من ذوى الفهم والثقافة والإدراك ويجول بفكره فيها ويتنقل بعقله بين آياتها متجرداً عن الهوى والتشهى يرى الآيات متجانسة متلائمة متناسقة مترابطة منسجمة يأخذ بعضها بحجز بعض ويشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص ولا يحس إذا

(١) سورة الحجر ٩ وسورة فصلت ٤١ - ٤٢ .

ما انتقل في قراءته من آية مكية إلى آية مكية أخرى أو من آية مكية إلى آية مدنية أو من سورة مكية إلى سورة مكية أخرى أو من سورة مكية إلى سورة مدنية لا يحس اقتضاباً فيها ولا انقطاعاً بينها ولا انفصاماً في معانيها وتسلسلها وإنما يروعه جمال التناسق والإنسجام وكمال الإحكام والالتئام وتمام التآخي والالتحام بين الآيات كأنها سبيكة واحدة ملتحمة لا يدرى أين طرفاها ، وهذا أمر عام في القرآن كله آياته وسوره لا فرق بين مكيه ومدنيه ، ومن يقل نقيض هـذا مصراً على زعمه فهو : إما أنه غير دارس للقرآن ولا مطلع عليه وأرسل القول على عواهنه بلا تبصر ولا تأمل ، وإما أنه جاهل باللغة العربية وفنونها غير ملم بأسرارها ولا مدرك للطائفها فأخطأ في فهمه للقرآن وحكمه عليه وينطبق عليه قوله تعالى : بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » وقوله « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم »[1] . وقول العرب في أمثالهم (من جهل شيئاً عاداه) وقول الشاعر :

والنجم تستصغر الأبصار صورته ∴ والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

قال ابن عطية في مقدمة تفسيره : إن الاتيان بمثل هذا القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا ، ثم تعطى لأحد نظيره فيأخذها بقريحة خاصة فيبدل فيها وينقح ، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل ، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير

---

(١) سوره يونس ٣٩ وسوره الأحقاف ١١ .

لسان العرب فى أن يوجد أحسن منها لم يوجد ، ونحن تتبين لنا البراعة فى أكثره ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام ا هـ[1] .

وإما أنه متبع لهواه وفى قلبه مرض وحقد وتغيظ من عظمة القرآن وشموخه :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ∴ وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقد عنى كثير من العلماء فى مؤلفاتهم ببيان إرتباط الآيات والسور بعضها إرتباطاً وثيقاً وبديع تناسق مبانيها وتعانق معانيها كفخر الدين أبى عبد الله محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦ هـ فى كتابه « التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب » ، وأبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير شيخ أبى حيان ت ٧٠٨ هـ فى كتابه « البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن » وبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى ت ٨٨٥هـ فى كتابه « نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور » ، وجلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ فى كتابه « تناسق الدرر فى تناسب السور » اختصره من كتاب آخر له فى أسرار التنزيل يسمى « قطف الأزهار فى كشف الأسرار » جعله جامعاً للمناسبات بين الآيات والسور وبيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وأبى الفضل عبد الله محمد الصديق الغمارى الحسنى فى كتابه « جواهر البيان فى تناسب سور القرآن .

---

(١) ص ٢٧٨ مقدمة تفسير ابن عطية المسمى بالجامع المحرر الوجيز ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان فى علوم القرآن .

ولا يخلو كتاب من كتب التفسير قديمها وحديثها من ذكر إرتباط الآيات والسور بعضها مع تفاوت الكتب فى ذلك كثرة وقلة .

وعد العلماء ذلك وجها من وجوه إعجاز القرآن ، بل جعله أحد العلماء المعاصرين وهو الدكتور محمد عبد الله دراز أعظم وجوه الإعجاز وأبرزها حيث قال : لعمرى لئن كانت للقرآن فى بلاغة تعبيره معجزات ، وفى أساليب ترتيبه معجزات ، وفى نبوآته الصادقة معجزات ، وفى تشريعاته الخالدة معجزات ، وفى كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ، لعمرى إنه فى ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزه[1] .

فهذا دليل على أن القرآن ليس من صنع بشر وإنما هو صنع اللطيف الخبير العليم القدير الذى أحاط بكل شىء علماً ، وصدق الله العظيم فى قوله : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »[2] .

وإن قصر الآيات المكية وسورها وطول الآيات المدنية وسورها راجع إلى مراعاة حال المخاطبين وتجاوب الدعوة مع البيئة المكية والبيئة المدنية لالتأثره بهما .

فأهل مكة كانوا مع أميتهم أرباب الفصاحة وأصحاب البلاغة وكانوا يملكون لطف الحس والقريحة الوقادة والفطنة النفاذة والذكاء الحاد الخارق ، كان الواحد منهم يسمع القصيدة المكونة من عشرات الأبيات فيحفظها عن

---

(١) ص ٢٠٩ النبأ العظيم للدكتور دراز .
(٢) سورة النساء ٨٢ .

ظهر قلب بمجرد سماعه لها ، وكان العرب يحتكمون إليهم في شعرهم ، ونثرهم وتقام الأسواق السنوية لسماع الشعر والنثر في عكاظ ومجنة وذي المجاز ، وكانوا إذا استحسنوا قصيدة علقوها بالكعبة اهتماما بها وتخليداً لها واعتزازاً بجودتها وإتقانها .

وساعدهم على هذا الطبيعة الصحراوية وحياتهم البدائية وقناعتهم بالقليل من الحياة ، فكان من المناسب أن تكون الآيات المكية والسور المكية قصيرة موجزة وهي مع قصرها وإيجازها مؤدية للغرض منها موفية للمعنى على أكمل وجه .

فالقول بأن أهل مكة عاجزون عن إنشاء العبارات الطويلة قول من يجهل حالهم أو يجحد فضلهم وسبقهم في اللغة .

أما أهل المدينة فلم يصلوا في الفصاحة والبلاغة والذكاء إلى ما وصل إليه أهل مكة ولم يكن عندهم تبار وتنافس في الشعر والنثر كما كان الحال في مكة ، وكان عهدهم عهد تشريع وتفصيل فكان من المناسب أن تكون الآيات والسور المدنية أطول من الآيات والسور المكية .

والإعجاز القرآني في القسمين (المكي والمدني) واحد لا يختلف ولا يتفاوت .

وإذا كان أهل المدينة أعلى كعبا في البلاغة والفصاحة من أهل مكة كما يزعم الزاعمون وعندهم القدرة على إنشاء العبارات الطويلة وقد تحداهم الله في سورة البقرة المدنية أن يأتوا بسورة من مثل القرآن فلم يأتوا بسورة من مثله وآثروا — كأهل مكة — السكوت على تحريك اللسان به ،

ما ذلك إلا لإحساسهم بعجزهم عن معارضته وإيقانهم باستحالة مناهضته ومماثلته .

ولو خوطب أهل مكة بما خوطب به أهل المدينة وخوطب أهل المدينة بما خوطب به أهل مكة لكان القرآن غير ملائم لعقول المخاطبين ولا مناسب لحالهم ولما به أهل مكة وأهل المدينة من هذه الحيثية .

الشبهة الثانية : توجد فى القسم المكى آيات التهديد والوعيد والعنف والزجر ، والتقريع ، والتوبيخ ، ويلاحظ خلوه من الحجج والبراهين فى عرض القضايا .

أما القسم المدنى فتوجد فى آياته وسوره روح الثقافة والحضارة والمدنية والارتقاء ، ويلاحظ اشتماله على الحجج والأدلة فى عرض القضايا ومناقشة الخصوم برفق وأناة مع ذكر الحجة والبرهان .

ومرد هذا إلى تأثر القسم المكى ببيئة مكة وتأثر القسم المدنى ببيئة المدينة ، وهذا الاختلاف والتأثر بالبيئة دليل على أن القرآن ليس بكتاب سماوى وإنما هو كتاب أرضى من وضع البشر .

ونقول رداً على هذه الشبهة : إن القسم المكى قد اشتمل على آيات كثيرة فى العفو والصفح والتسامح واللين والرفق والمودة والتراحم والصبر على الإيذاء كقوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »(١) ،

---

(١) سورة الأعراف ١٩٩ .

« فاصفح الصفح الجميل »[1] ، « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى »[2] الآية ، « وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن »[3] ، « فاصفح عنهم وقل سلام »[4] ، « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا »[5] ، وغير ذلك من الإيات التي في سورة فصلت والشورى والأحقاف ونحوها من السور المكية .

والتاريخ ناطق وشاهد على أن المسلمين كانوا أذلة مستضعفين فى مكة وأن الله لم يشرع لهم الجهاد والمخاشنة إلا بعد هجرتهم إلى المدينة .

واشتمل كذلك على آيات التهديد والوعيد ، وليست مقصورة على القسم المكى كما يزعم الزاعمون ويتخرص المتخرصون ، بل توجد فى القسم المدنى آيات الوعيد والتهديد والتخويف والتعنيف والتوبيخ والتقريع وهذه طائفة من الآيات المدنية الدالة على ذلك لتعلم مدى افترائهم على الله وتجنيهم على أنفسهم وعلى كتاب الله .

قال تعالى فى سورة البقرة وهى مدنية : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى

---

(١) سورة الحجر ٨٥ .
(٢) سورة النحل ٩٠ .
(٣) سورة الإسراء ٥٣ .
(٤) سورة الزخرف ٨٩ .
(٥) سورة المزمل ١٠ .

أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم »[١]، « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[٢]، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله »[٣].

وقال تعالى في سورة آل عمران وهي مدنية: « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام »[٤]، « إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[٥]، « لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد»[٦].

وقال تعالى في سورة النساء وهي مدنية: « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً »[٧]، « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب »[٨]، « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها

---

(١) سورة البقرة ٦ – ٧ وانظر ما بعدها.
(٢) سورة البقرة ٨١.
(٣) سورة البقره ٢٧٨ – ٢٧٩.
(٤) سورة آل عمران ٤.
(٥) سورة آل عمران ١١٦.
(٦) سورة آل عمران ١٩٦ – ١٩٧.
(٧) سورة النساء ١٠.
(٨) سورة النساء ٥٦.

وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما »[1] ، « إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين »[2] ، وغير ذلك من الآيات .

ونرى القرآن يجمع في السور المكية والمدنية ـ لمصلحة الإنسان وتربيته ـ بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب مع جميل تنسيق وبديع ترتيب والأمثلة في القرآن كثيرة .

وهكذا نرى أن آيات التهديد والوعيد توجد في القسم المدنى كما توجد في القسم المكى ، غاية الأمر أن القسم المكى كثرت فيه آيات الوعيد والتهديد لأن الدين كان جديداً على أهل مكة ولم يكونوا ألفوه من قبل ، وكان الدور المكى دور تأسيس وتقعيد لهذا الدين ، وكانت العادات الفاسدة متأصلة فيهم ويصعب عليهم تخليهم عنها ، وكانوا عتاة أفظاظاً غلاظ القلوب متصلبين لباطلهم لا تؤثر فيهم الموعظة وكم آذوا المسلمين وحاربوا الدين .

وقلت آيات الوعيد والتهديد وخفت حدتها في القسم المدنى لأن أخبار الدين الإسلامى قد عمت وشاعت ، ولم يكن أهل المدينة غلاظ القلوب ولا العادات القبيحة متأصلة فيهم جارية في دمائهم كما كان حال أهل مكة ، وكان الدور المدنى دور تفريع وتشريع وقوى الإسلام وبلغ أشده واستوى وتوالت انتصاراته وهزائم أعدائه وأقبل الناس على الدخول فيه وازدادوا تعقلا ووعيا بدينهم وحبا لنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) سوره النساء ٩٣ .

(٢) سوره النساء ١٣٣ .

ولم يخل القسم المكى من الروح الثقافى والحضارى والارتقاء كما تيقول المتقولون ، وكيف لا يكون فيه ذلك وقد تكلم أكثر ما تكلم عن أصول الدين من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه ودعا بقوة إلى استئصال الشرور والآثام من أهل مكة وغرس الفضائل والآداب الثابتة التى لا تتغير بتغير الأزمان .

ولم يخل القسم المكى من الحجج والبراهين فى عرض قضاياه كما يقول المفترون على الله .

فمثلا بالنسبة لذاته تعالى وإثبات وحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال والجلال نرى فى القرآن آيات مكية فى سور مكية تتحدث عن هذا الجانب مع ذكر الدليل والبرهان ، قال تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»[١] الآية، « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض »[٢] الآية ، « أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله»[٣] ، «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء »[٤] .

وانظر فى ذلك الآيات التى فى سورة الروم وفاطر والواقعة وغيرها .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٢ .
(٢) سورة المؤمنون ٩١ .
(٣) سورة النمل ٦٠ وانظر ما بعدها .
(٤) سورة القصص ٧١ وانظر ما بعدها .

وبالنسبة إلى اختيار الله سيدنا محمداً واصطفائه للرسالة وإنزال القرآن عليه وكونه من عند الله تعالى نجد آيات مكية فى سور مكية تتحدث عن هذا وتحمل فى ثناياها الدليل كقوله تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله »[1] ، « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهـذا لسان عربى مبين »[2] ، « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون »[3] ، « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين »[4] .

وأحياناً يخبر القرآن بقصص الأنبياء مع أممهم ثم يعقب عليها بما يفيد علم الرسول بها بالوحى من ربه ، وفى ذكر قصصهم على وجه اليقين والمطابقة للواقع دليل على حقية رسالته : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها »[5] ، « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من

---

(١) سورة يونس ١٥ — ١٦ .
(٢) سورة النحل ١٠٣ .
(٣) سورة العنكبوت ٤٨ .
(٤) سورة الحاقة ٤٤ — ٤٧ .
(٥) سورة الأعراف ١٠١ .

قبل هذا»[1] «كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق»[2] .

وأحياناً يخبر القرآن بما يحدث فى المستقبل ، ويقع فى عهد رسول الله ـ كما أخبر مثل أول سورة الروم .

وأحياناً يتحداهم أن يأتوا بمثل القرآن كما جاء فى سورة القصص والطور[3] ، ثم يرخى لهم العنان ويطلب الإتيان بعشر سور مثله مفتريات كما جاء فى سورة هود عليه السلام[4] ، ثم يرخي لهم العنان ويطلب الإتيان بسورة مثله كما جاء فى سورة يونس عليه السلام[5] ، ثم يرخى لهم العنان حتى النهاية فيطلب فى سورة مدنية هي سورة البقرة الإتيان بسورة من مثله[6]

---

(١) سورة هود ٤٩ .

(٢) سورة طه ٩٩ .

(٣) آية رقم ٤٩ وآية رقم ٣٤ .

(٤) آية رقم ١٣ .

(٥) آية رقم ٣٨ .

(٦) جاء التحدى بالقرآن فى ست سور وهى : البقرة ويونس وهود والإسراء والقصص والطور . خمس سور مكية وواحده مدنية وهي سورة البقرة ، وكثر التحدى فى مكة لكثرة العاندين وتعنتهم ، وقل فى المدينة لقلة المعاندين ، ولعل هذه الآية المدنية من أوائل مانزل من سورة البقرة بالمدينة فكان التحدي فيها امتداداً للتحدى فى مكة وإعلاماً من الله للعالمين بأن التحـــدى بالقرآن وإعجـازه باقيان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فعجزوا عن معارضته ولو بسورة من مثله واستبدلوا السنان باللسان وآثروا السيوف والحتوف على الحروف .

وبالنسبة إلى البعث والإعادة نجد آيات مكية فى سور مكية تتحدث عنه وتذكر الأدلة على إمكانه ودخوله تحت قدرته تعالى وحتمية وقوعه ، وكثيراً ما يستدل القرآن على هذه القضية بالقياس :

١ — قياس الإعادة على البدء : كما بدأكم تعودون[١] ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا[٢] ، وأنظر فى هذا الآيات رقم ٣٧—٤٠ سورة القيامة ورقم ٧٩ سوره يس ورقم ٥١ الإسراء .

٢ — قياس الإعادة على إيجاد النار من الشجر الأخضر : الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون[٣] .

٣ — قياس قدرته على الإعادة على قدرته على خلق السماوات والأرض وعدم تعبه من خلقهن كما جاء فى سورة يس رقم ٨١ والأحقاف رقم ٣٣ .

٤ — قياس قدرته على الإعادة على قدرته على إحياء الأرض بعد موتها كما جاءفيسورة الأعراف ٥٧ والحج ٥ والروم ٥٠ وفاطر ٩ وق ٩—١١ وفصلت ٣٩ والزخرف ١١ وغيرها .

---

(١) سورة الأعراف ٢٩ .
(٢) سوره الأنبياء ١٠٤ .
(٣) سوره يس ٨٠ .

٥ — قياس قدرته على البعث والإعادة على قدرته على إخراج الحى من الميت وإخراج الميت من الحى وإحياء الأرض بعد موتها كما جاء فى سورة الروم ١٩ وغيرها .

وأحياناً يقسم القرآن علي حتمية قيام الساعة والبعث كقوله تعالى : « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب[١] » وكما جاء فى صدر سورة الذاريات والمرسلات والنازعات وغيرها .

إلى غير ذلك من الأدلة الساطعة والبراهين البارعة التى ذكرها القرآن المكى لإثبات قضاياه والتى تكذب المفترين على الله وتخرسهم .

الشبهة الثالثة : قالوا إن القسم المكي من القرآن لا توجد فيه تشريعات على وجه التفصيل ، أما القسم المدنى فملىء بالتشريعات التفصيلية ، وهذا راجع إلى خلو مكة من أهل الكتاب أما المدينة فكانت مجتمع أهل الكتاب وموطنهم وكانت معهم كتبهم السماوية الخاصة بهم ، وعليه فان القرآن ليس من عند الله وإنما هو من صنع البشر لتأثره بالبيئة .

ونقول دفعا لهذه الشبهة : إن القسم المكى لم يخل جملة من التشريعات والأحكام وإنما اشتمل على شىء منها على سبيل الإجمال كالوصايا التى في

---

(١) سورة سبأ ٣ .

سورة الأنعام والإسراء ولقمان ، والإشارات إلى بعض المحرمات كالخمر والربا فقد قال تعالى مشيراً إلى أن الخمر مشروب غير حسن : ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسنا : الآية[1] ، وقال مشيراً إلى أن الربا تعامل غير حسن : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله » الآية[2] .

وإن السبب فى قلة التشريعات التفصيلية بالقسم المكى وامتلاء القسم المدنى بها ليس راجعاً إلى تأثر القرآن بالبيئة وخضوعه للمجتمع المكى أوالمدنى بل راجع إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وقد كان أهل مكة ينكرون وحدانية الله ويشركون معه غيره وينكرون رسالة الرسول محمد والبعث وما وراءه إلى آخر ما كانوا عليه من ضلال وبهتان فكان الملائم دعوتهم إلى أصول الدين وإنزال تشريعات إجمالية لهم حتى يأنسوا ويألفوا الدين الجديد وتميل قلوبهم إليه وإلى الاستمساك بتعاليمه حتى إذا ما أشربت قلوبهم حبه نزلت التشريعات التفصيلية بالتدريج ، ولو كان القسم المكى مليئاً بالتشريعات التفصيلية مقترنة بالأصول لكان القرآن غير ملائم لمقتضى حال أهل مكة مخالف لأسس التربية وسنن الفطرة ولنفروا من الإسلام وكرهوه .

(١) سورة النحل ٦٧ .
(٢) سورة الروم ٣٩ .

وكيف يقال إن الرسول تلقى القرآن عن أهل الكتاب وفى القرآن ما يخالف شريعتهم ويناقض أحكامهم ويصحح ما حرفوه وزيفوه فى كتبهم وأخفوه منها «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير»[1]، «إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون»[2] ، وأتى القرآن بمعلومات وحقائق لم يعرفوها ولم يقفوا عليها . وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم »[3] .

ولم يكتف القرآن بهذا بل لعنهم وسفه عقولهم ونعى عليهم كفرهم بآيات الله وقتلهم أنبياءهم بغير حق وأبان عن غضب الله وسخطه عليهم ودعاهم القرآن إلى الإيمان به والعمل بما فيه والانتظام فى سلك المؤمنين المتبعين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه الكتاب الخالد إلى يوم القيامة العام لكل الإنس والجن المهيمن على كل الكتب السماوية السابقة .

ولو أن رسول الله تعلم من أهل الكتاب وتأثر بهم ثم عابهم بعد ذلك وسفه عقولهم ولعنهم وفضح عقائدهم وسلوكهم لأعلنوا ذلك وأشاعوه دفاعاً عن أنفسهم وتكذيباً لرسول الله وعيروه بتلمذته عليهم وأخذه عنهم ولاقتصر

---

(١) سورة المائدة ١٥ .

(٢) سورة النمل ٧٦ .

(٣) سورة الأنعام ٩١ .

ذكر قصص الأنبياء كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وعيسى على السور المدنية .

ولو كان القرآن من عند رسول الله لما كانت فيه آيات العتاب له ، ولما وجد فيه مثل قوله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين »[1] الآيات ، ولاستطاع غيره من ذوى الفصاحة والبلاغة المالكين لناصيتها الإتيان بمثل القرآن ولظهر خلل مافى نظم آياته أو أحكامه وتشريعاته ولكنه كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

الشبهة الرابعة : قالوا إن القسم المكي يكثر فيه القسم بالمخلوقات كالطور والنجم والقمر والفجر والشمس والليل والعصر والتين والزيتون .. . ، وهذا يناسب البيئة الساذجة البسيطة المتخلفة ، أما القسم المدنى فهو خال من القسم بالمخلوقات ، ومرد هذا إلى تأثر القرآن ببيئة مكة والمدينة مما يدل على أنه ليس من الله وإنما هو من صنع البشر .

ونقول رداً على هذه الفرية : إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى ما ألفوه فى لغتهم ليكون مفهوماً لهم وحجة عليهم فى التحدي ومحبباً إلى قلوبهم ، ويوجـــد فى لغتهم القسم فكانوا يقسمون ويعظمون قسمهم ولا يحلفون إلا صادقين لاعتقادهم أن الحلف الكاذب يفضى إلى سوء الحال والبوار وخراب الديار .

---

(١) سورة الحاقة ٤٤ – ٤٧ .

والملاحظ فى استعمال القرآن لأسلوب القسم استعماله له عندما يريد أن يقرر أمراً عظيما وأصلا أصيلا مهما من أصول الإسلام وأسسه ويثبته فى قلوب العباد ويحملهم على التزامه والتمسك به كأن يكون شيئاً أنكره بعض الناس ، أو احتقروه ، أو غفلوا عن فائدته ، أو ذهلوا عن موقع العبرة فيه ، أو اعتقدوا فيه غير الحق . فيقسم الله به لتقرير وجوده فى عقل من ينكره أو لتعظيم شأنه فى نفس من يحتقره أو لتنبيه الشعور ولفت الأذهان إلى ما فيه من حكم وأسرار أو لقلب الاعتقاد فى قلب من أضله الوهم أو خانه الفهم أو الكشف عن دلائل وحدانيته وآيات قدرته تعالى[1] .

« وكثر القسم »[2] بهذه المخلوقات فى القسم المكى لأن طبيعة مكة وبيئتها صحراوية ، وهذه الأشياء المقسم بها واضحة فيها جلية ، ولأن المكيين كانوا كثيرى الاعتداد بهذه الأشياء كثيرى التحدث عنها فى نظمهم ونثرهم .

ويلاحظ أن المقسم عليه بهذه المخلوقات هو الأصول الثلاثة وما يتصل بها (التوحيد والنبوة والبعث) ولا شك أن تأصيلها وترسيخها فى قلوبهم يحتاج إلى القسم بما يعرفون ويدركون وكأن الله يقول لهم : إن المقسم عليه واقع وواضح وضوح المقسم به عندكم وعليكم أن تعترفوا به وتقروا اعترافكم

---

(١) انظر ص ١٠ تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده أول سورة النازعات .

(٢) ورد القسم فى القرآن الكريم فاتحة لتسع عشرة سورة مكية .

وإقراركم بالأمور الحسية التي ترونها بأعينكم ماثلة أمامكم كما قال : « فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »[١] .

ولم يخل القسم المكي من القسم بما هو معقول كالقرآن والملائكة والنفس ، وأحياناً يقسم الله تعالى بربوبيته وحياة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أما القسم المدني النازل بعد الهجرة فلم يكثر فيه القسم بهذه المخلوقات لأن بيئة المدينة حضارية وأصول الدين قد رسخت في الأذهان وانتقشت في القلوب ولم يكن الدور دور التأسيس والتمهيد للدين بل كان دور التفصيل والتفريع والتشريع على أوسع نطاق وبناء الدولة الإسلامية وتشييدها وأيقن الناس بعظمة الإسلام وأقبلوا طائعين مشتاقين على الدخول فيه فلم يكونوا في حاجة إلى كثرة قسم .

ولو خلا القسم المكي من القسم أو جاء القسم كثيراً في القسم المدني لكان القرآن غير ملائم ولا مناسب لمقتضى حال أهل مكة والمدينة ، وكيف يتأتى هذا والله تعالى خالق الخلق ويعلم حالهم وواقعهم وفطرتهم وتعوسهم : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »[٢] « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »[٣] .

---

(١) سورة الذاريات ٢٣ .

(٢) سورة ق ١٦ .

(٣) سورة الملك ١٤ .

هذا ، وهناك شبهات أخرى يثيرها أعداء الإسلام على القرآن المكى والمدنى كقولهم :

(أ) إن القرآن سكت فى مكة عن ذكر اسم ملك الوحى ، ثم ذكره فى المدينة ثلاث مرات باسمه الصريح - جبريل - مرتين فى سورة البقرة ٩٧-٩٨ ومرة فى سورة التحريم ٤ ، وهذا راجع إلى تأثر القرآن بالبيئة المدنية حيث يوجد بها اليهود .

(ب) إن كثيراً من السور المكية افتتح بحروف المعجم وهى ألفاظ لا يفهم معناها والمراد بها ، وهذا يتعارض مع كون القرآن هدى ورحمة وبياناً ، ولا مانع أن تكون هذه الحروف للتعمية وإظهار القرآن فى مظهر رهيب مخيف كما لا مانع أن تكون إشارات إلى مصاحف الصحابة الخاصة بهم أو إشارات إلى معان لا يعرفها غيرهم .

إلى غير ذلك من الشبهات وكلها هراء وافتراءات وغثاء كغثاء السيل كما رأيت آنفا[1] .

وهكذا نرى أن أعداء الإسلام يحاولون جهدهم النيل من كتاب الله تعالى وإطفاء نوره بأفواههم والحط من شأنه والقدح فيه قدحا مؤثراً موجعاً

---

(١) رجعت فى ذكر هذه الشبهات وتفنيدها إلى كتاب : مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ، وكتاب : اللآلىء الحسان لأستاذنا الدكتور موسى شاهين .

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والمجرمون ، وقد جند الله له من عباده المصطفين الأخيار من يدافع عنه ويذب كيد الكائدين ويرد كيدهم وحنقهم فى نحورهم ويلقمهم الحجر فى أفواههم وصدق الله إذ يقول عنهم فى سورة التوبة ٧٤ : « وهموا بما لم ينالوا » ، وسيبقى القرآن علياً حكيماً خالداً مبرأ من كل عيب منزها عن أدنى نقص غضاً طرياً معجزاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

المبحث الثاني

جمع القرآن الكريم

يراد بجمع القرآن معنيان :

الأول : حفظه واستيعابه والإحاطة به في الصدور.

والثاني : كتابته والإحاطة به في السطور .

وقد توفر بحمد الله للقرآن هذان الأمران مجتمعين ، وجمع بالمعنى الثاني ثلاث مرات :

الأولى : جمعه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانيــة : جمعه في عهد خليفته الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

الثالثــة : جمعه في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وسنتكلم بعون الله وتوفيقه عن كل جمع من هذه الجموع الثلاثة مع توضيح دوافعه وصفاته ومميزاته .

فائدة هذا المبحث

لدراسة هذا المبحث ومعرفته فائدة عظيمة وهي : بيان أن القرآن الكريم منذ أول آية نزلت منه إلى آخر آية نزلت منه حوفظ عليه أشد محافظة بحفظه واستيعابه في الصدور وكتابته ونقشه في السطور عقب الوحي به مباشرة ولم تغفل عنه عين المسلمين لحظة ، ورغب الإسلام في تعلمه وتعليمه وحفظه وكتابته محافظة عليه ، فليس كغيره من الكتب السماوية التي لم يعن بها أصحابها كالتوراة التي أحرقت ثم كتبت بعد زمن والتي أسند الله حفظها إلى البشر كما قال تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء »[1] الآية ، أو الإنجيل المكتوب بعد عيسى عليه السلام بكثير .

أما القرآن فقد جعله الله مهيمناً على الكتب السماوية وأسند حفظه إلى نفسه مؤكداً ذلك بمؤكدات في قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[2] .

---

(١) سورة المائدة ٤٤ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

وشتان ما بين حفظ الله وحفظ البشر .

فالفائدة والغرض من هذا المبحث إقامة البرهان الساطع والدليل القاطع على أن القرآن بتمامه قد لقي العناية والرعاية التامتين منذ نزوله إلى الآن وسيظل معنياً به مرعياً إلى يوم القيامة .

جمع القرآن بمعنى حفظه فى الصدور

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على حفظ القرآن واستيعابه فى صدره حباً له وتقديراً لمنزلته حتى بلغ من شدة حرصه على حفظه وعنايته وحفاوته به أنه كان يحرك به لسانه ويتلقف ألفاظه من جبريل عليه السلام ويلاحقه فور سماعها وقبل أن ينتهى جبريل من النطق بها مستعجلا حفظه خائفاً أن يتفلت منه شىء مستعذباً فى سبيل ذلك العناء والشدة التى كان يلقاها ، وظل على هـذا الحال إلى أن نهاه ربه عن تحريك لسانه بالقرآن متعجلا ووعده أن يجمعه له فى صدره ويقرئه لفظه ويفهمه معناه ، روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك به شفتيه . . . . . فأنزل الله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » قال : جمعه له فى صدرك وتقرأه ، « فاذا قرآناه فاتبع قرآنه » قال : فاستمع له وأنصت ، « ثم إن علينا بيانه » ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فاذا إنطلق جبريل قرأه النبى ﷺ كما قرأه[1] .

---

(١) ج ١ ص٦ كتاب بدء الوحى : صحيح البخارى وأخرجه أيضاً فى كتاب التفسير ، وفضائل القرآن والتوحيد : من صحيحه وانظر ج ٢ ص٨٧ كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة : صحيح مسلم بشرح النووى ؛=

وكان من دواعى حفظ القرآن وتثبيته وترسيخه فى قلبه صلى الله عليه وآله وسلم :

(أ) أنه كان يقرىء أصحابه القرآن ويمليه على كتبة الوحى منهم ، ولا شك أن من حفظ شيئاً ثم أملاه على غيره كان هـذا من دواعى رسوخه فى صدره وثباته فى عقله .

(ب) أنه ربط نفسه بالقرآن وجعله شغله الشاغل وأقبل عليه بكليته فى جميع أوقاته وحالاته : فى سره وعلانيته ، في وحدته واجتماعه بأصحابه ، فى حضره وسفره ، فى ليله ونهاره ، فى عسره ويسره ، وكثيراً ما كان يرجع إليه ويتفهمه ويستلهمه ويطبق ما فيه من تعاليم وآداب وأخلاق ويقوم بتبليغ ذلك إلى الناس ، ولا جدال فى أن هـذا مما يجعل القرآن محفوظاً فى صدره منقوشاً في فؤاده

(ج) أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في شهر رمضان من كل عام مرة ، وعارضه فى شهر رمضان فى العام الأخير من حياته الشريفة مرتين ، وفهم الرسول من تكرر المعـارضة مرتين قرب انتهاء الوحى إليه وانتهاء أجله إذ المعارضة لم تتكرر قبل ذلك فى أى عام سابق ، ولا ريب أن فى معارضة الرسول بالقرآن تثبيتاً له فى قلبـه وترسيخاً له فى صدره ولبه .

= وجـ ٥ ص ١٠٢ كتاب التفسير سنن الترمذى وصححه ، والآيات المذكورة من سورة القيامة ١٦ – ١٩ وفى معنى الآية الأولى قوله تعالى فى سورة طه ١١٤ : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه » الآية .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يبلغه للصحابة الكرام بأناة ليحفظوا وتمهل ليحفظوا لفظه ويفهموا معناه ، وكانوا يتنافسون فى حفظ ألفاظه واستظهارها ويتسابقون فى فقه معناها وفهم مرماها جاعلين القرآن نصب أعينهم واضعيه فى المقام الأول من حياتهم ومزجوه بلحمهم ودمهم وأحبوه حبا يفوق حب الأهل والولد بل حبهم لأنفسهم ، وكانوا يعتمدون فى حفظه واستظهاره على التلقى والسماع من النبي لا على الأخذ من الصحف وغيرها مما كتبوا فيه .

وحفظ الأمة الإسلامية للقرآن عن ظهر قلب واستيعابها له فى صدورها خصيصة من خصائصها ونعمة من نعم الله عليها ، أخرج الإمام مسلم وأحمد بسندهما عن عياض بن حمار المجاشعى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن ربى قال لى قم فى قريش فأنذرهم قلت أى ربى إذن يثلغوا رأسى حتى يدعوه خبزة فقال : إنى مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان فابعث جنداً أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك)[1] .

ففى الحديث إعلام بأن القرآن غير محتاج فى حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء وإنما محل حفظه واستيعابه هو القلوب والصدور ، وكما جاء فى قوله تعالى :

---

(١) جـ ٥ ص ٧١٧ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار : صحيح مسلم بشرح النووى . وجـ ٤ ص ١٦٢ المسند .

« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم »[1] الآية ، وفى وصف الأمة المحمدية : « أناجيلهم فى صدورهم »[2] .

أما أهل الكتاب فليست لهم هذه الميزة والمنة فهم لا يستطيعون حفظ كتاب من كتبهم عن ظهر قلب ولا يستطيعون قراءته إلا نظراً .

وقد اشتهر جم غفير من الصحابة المهاجرين والأنصار بحفظ القرآن فى عهد رسول الله ﷺ وكيف لا يحفظونه وقد أيقنوا أنه دستورهم وفيه عزهم ورفعتهم وهناؤهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

ومما ساعدهم على سرعة حفظه واستظهاره بلا مشقة :

(أ) أحوالهم وظروفهم التى شبوا فيها وتكيفوا بها ، فقد كانت البيئة التى عاشوا فيها بيئة طبيعية ذات سماء صافية وشمس مشرقة وصحراوات شاسعة وهواء طلق ، وهو عامل يساعد على سلامة الصحة وقوة البنية وصفاء القريحة وسرعة البديهة وحدة الذكاء .

وكانوا بعيدين عن الترف والتنعم ووسائل الرقى والتمدين قانعين بضروريات الحياة وأبسطها متجردين عن أى شاغل مترف يرهق أذهانهم

---

(١) سورة العنكبوت ٤٩ .

(٢) رواه ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه اليمانى انظر جـ ٣ ص ٤٩٧ تفسير ابن كثير فى سورة الأحزاب فى قوله تعالى : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً » الآية (٤٥) .

أو يضعف ملكاتهم أو يستفرغ أوقاتهم ، ولا شك أن الذهن إذا ما تجرد عن الشواغل وأقبل بهمة وعزم على حفظ نص كان أقدر على استيعابه واستظهاره وثبات النص فيه واستقراره .

(ب) علمهم بأن القرآن هو المصدر الأول للتشريع والركيزة الأولى للاسلام وسبب عزهم وكمالهم وعلو قدرهم وجلالهم « وإنه لذكر لك ولقومك »[1] .

(ج) أنهم كانوا قوماً أميين لا يعرفون الكتابة ولم تكن وسائلها ميسرة لهم وأدركوا أن وسيلتهم وطريقهم فى الرجوع إلى الرسول وسؤاله عن شيء من معانى القرآن هى حفظه واستظهاره .

(د) الآيات والأحاديث الكثيرة التى تدعو إلى حفظ القرآن وتلاوته وتحث على تعلمه وتعليمه وتبين ما فى ذلك من أجر جليل وثواب جزيل كقوله تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليو فيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور[2] » .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه البخارى بسنده عن عثمان بن

---

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة فاطر ٢٩-٣٠ .

عفان : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1] ، وقوله فيما أخرجه الترمذى بسنده ـ وصححه ـ عن ابن مسعود : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها » : الحديث[2] ، وقوله فيما أخرجه الترمذى وصححه وأبو داود بسندهما عن عبد الله بن عمرو : «يقال لصاحب القرآن أقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ بها»[3] ، وقوله فيما أخرجه مسلم بسنده عن أبى أمامة الباهلى : « اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» : الحديث[4]، إلى غير هذا من الأحاديث الكثيرة الموفورة التى تحفز إلى حفظ القرآن وتلاوته والعمل بما فيه وتحمل معها الجزاء الأوفى والأجر الأسمى .

(هـ) أن الرسول كان يفاضل بينهم بالقرآن فيقدم المتفوق فى حفظه على غيره ويؤثره بالمنازل الرفيعة ووردت روايات بهذا كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما أخرجه مسلم وابن ماجه بسندهما عن أبى مسعود الأنصارى :

---

(١) جـ ٦ ص ٢٣٦ كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه : صحيح البخارى .

(٢) جـ ٤ ص ٢٤٨ أبواب فضائل القرآن : سنن الترمذى .

(٣) جـ ٤ ص ٢٥٠ أبواب فضائل القرآن . سنن الترمذى، و جـ ٢ ص٧٣ كتاب الصلاة باب استحباب الترتيل فى القراءة : سنن أبى داود .

(٤) جـ ٢ ص ٤٥٧ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة : صحيح مسلم بشرح النووى .

«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»(١) ، وقول أبى هريرة فيما أخرجه الترمذى بسنده عنه وحسنه : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا ـ أى سرية ـ وهم ذو عدد ـ أى كثيرون ـ فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم يعنى مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال : مامعك يافلان ؟ فقال معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فأنت أميرهم» : الحديث(٢) .

وروى أنه كان يقدم فى الدفن الأكثر حفظاً من شهداء المسلمين فى غزوة أحد وغيرها .

(و) اشتمال القرآن على الخصائص البلاغية والمزايا البيانية التى فاقت مقدرتهم وأخرست ألسنتهم ووصلت به إلى الذروة فى الإعجاز فكانوا يقرءونه كثيراً ويرددونه طويلا ويجعلونه تسليتهم لما يجدون فيه من عظم البلاغة وبديع الفصاحة والإعجاز والمتعة النفسية واللذة الروحية والعقلية .

ولم يكن حفظ القرآن مقصوراً على الرجال من الصحابة وإنما كان فى النساء الصحابيات من شاركتهم فى حفظه واستيعابه وقد ذكر السيوطى وابن

---

(١) جـ ٢ ص ٣١٦ كتاب المساجد باب من أحق بالإمامة: صحيح مسلم بشرح النووى ، و جـ ١ ص ٣١٤ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب من أحق بالإمامة : سنن ابن ماجه .

(٢) جـ ٤ ص ٢٣٣ أبواب فضائل القرآن سنن الترمذى .

سعد ما يدل على ذلك[1] .

هذه أهم العوامل التى جعلت الصحابة رضى الله عنهم يقبلون بهمة وصدر رحب على القرآن ويعنون به حفظاً وتلاوة ويتقربون به إلى الله عز وجل ويرتلونه فى غدوهم ورواحهم فى صلاتهم وتهجدهم وفى كل أحوالهم حتى كان يسمع لهم دوى بقراءته كدوى النحل .

(١) أنظر جـ ١ ص ٧٢ الإتقان للسيوطى و جـ ٨ ص ٣٣٥ الطبقات الكبرى لابن سعد .

القراء من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

اشتهر بحفظ القرآن من الصحابة جم غفير يفوق التواتر فى حياة رسول الله كانوا يعرفون باسم « القراء » واستكمله كثير من الصحابة حفظاً بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى وكانوا يسمون بهذا الإسم ، فقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما بسندهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بنى سليم (رعل) و (ذكوان) عند بئر يقال لها بئر معونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا إنما نحن مجتازون فى حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم فقتلوهم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شهراً فى صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت[1] .

وعين الرسول بعض الصحابة لتعليم إخوانهم وتحفيظهم القرآن وأخذ بعضهم عن بعض فقد روى الشيخان وغيرهما بسندهم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

---

(١) جـ ٢ ص ٣٢ كتاب الصلاة صحيح البخارى و جـ ٢ ص ٣٢١ كتاب المساجد باب استحباب القنوت فى جميع الصلاة صحيح مسلم بشرح النووى، وأخرجه أبو داود وابن ماجه فى كتاب الصلاة .

خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل وأبى ابن كعب وسالم مولى أبى حذيفة(١) .

وقد قرأ بالفعل على أبى بن كعب جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس كذلك عن زيد بن ثابت، وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام فى صدر كتابه « القراءات » والحافظ الذهبى فى مقدمة كتابه « طبقات القراء » (مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٣٧ تاريخ) وغيرهما عدداً من القراء من أصحاب الرسول المهاجرين والأنصار منهم الخلفاء الأربعة وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وحذيفة بن اليمان وسالم بن معقل مولى أبى حذيفة وأبو هريرة وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وعبادة بن الصامت وقيس ابن السكن ، وعائشة وحفصة وأم سلمة وأم ورقة بنت نوفل ويقال بنت عبد الله بن الحارث . . . إلخ(٢) .

ومما يدل كذلك على كثرة القراء وحفاظ القرآن من أصحاب رسول

---

(١) ج ٦ ص ٢٢٩ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم: صحيح البخارى ، و ج ٥ ص ٣٢٧ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل ابن مسعود وأمه رضى الله عنهما:صحيح مسلم بشرح النووى .

(٢) أنظر فى هذا ج ١ ص ٢٤٢ البرهان للزركشى و ج ١ ص ٦ النشر لابن الجزرى و ج ١ ص ٧٢ الإتقان للسيوطى و ج ٩ ص ٥٢ فتح البارى لابن حجر .

الله وتوافر عددهم السبعون الذين قتلوا في بئر معونة كما تقدم ، والخمسمائة الذين قتلوا في معركة اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والروايات الكثيرة المبثوثة في كتب السنة المعتمدة الدالة على وفرة الصحابة المتلقين للقرآن من فم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الإمام بدر الدين العيني بعد ذكره عدداً من القراء : وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم لا يحصيهم أحد ولا يضبطهم عدد[1] .

وهكذا نرى اهتمام المسلمين الأوائل بحفظ كتاب ربهم المنزل على نبيهم وتعلمه وتعليمه فكانوا يتلقونه من فمه صلى الله عليه وسلم غضاً طرياً كما نزل ويحفظه بعضهم لبعض ولم ينتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كان القرآن محفوظاً لعشرات الألوف من الصحابة الكرام منقوشاً في قلوبهم وكل واحد منهم يعد أمة ، وقاموا في مختلف الأمصار الإسلامية في حياة الرسول وبعد إنتقاله إلى الرفيق الأعلى بتحفيظه للتابعين الذين لا يحصون عدداً ، وظل القرآن في كل عصر من العصور محفوظاً في الصدور وفي السطور للألوف المؤلفة من المسلمين إلى أن وصل إلينا متواترا غضاً نضراً كعهد الرسول ﷺ به وسيبقى كذلك مصداقاً لقوله تعالى في صدر سورة الحجر : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

(١) ج ٢٠ ص ٢٧ عمدة القاري .

شبهة على تواتر القرآن ودفعها

روى البخاري بسنده عن قتادة أنه قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد.

وفي رواية أخرى من طريق ثابت البناني عنه أنه قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه.

زاد الإمام مسلم: قال قتادة: قلت لأنس من أبو زيد قال: أحد عمومتي[1]. تمسك الملاحدة وأعداء الإسلام بهذين الحديثين وإستندوا إليهما.

---

(١) ج ٦ ص ٢٣٠ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي صحيح البخاري و ج ٥ ص ٣٢٩ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار صحيح مسلم بشرح النووي، وأبو زيد مختلف في إسمه والأصح أنه قيس بن السكن الخزرجي فقد روى ابن أبي داود بسند صحيح على شرط البخاري عن أنس: أن أبا زيد الذي جمع القرآن إسمه قيس بن السكن قال: وكان رجلا منا من بني عدي بن النجار أحد عمومتي ومات ولم يدع عقباً ونحن ورثناه، قال ابن أبي داود: قد مات قريباً من وفاة النبي فذهب علمه وكان عقبيا بدريا أنظر الإتقان ج ١ ص ٧٢. ج ٩ ص ٥٣ فتح الباري.

فى القول بعدم تواتر القرآن بنية محاربته والتشكيك فيه قائلين إن كلا من الحديثين ينطق بأن الذين جمعوا القرآن وحفظوه كله على عهد الرسول أربعة من الصحابة فكيف يقال إن القرآن منقول بطريق التواتر .

وقد أجاب العلماء الأفاضل والأئمة الأماثل عن هذه الشبهة رادين على الملاحدة بعدة أجوبة منها :

١ ــ أن الروايات الواردة فى حصر جمع القرآن فى المذكورين من الصحابة مضطربة فى العدد والنفى والإطلاق ، ففى رواية يذكر أبى بن كعب دون أبى الدرداء ، وفى رواية يذكر أبو الدرداء دون أبى بن كعب، وتوجد صيغة الحصر فى رواية ولاتوجد فى رواية أخرى ، ولما كانت الروايات متعارضة مضطربة فى العدد والنفى والإطلاق فانها مردودة غير مقبولة وإن وردت فى الصحيح لاسيا أنها موقوفة على أنس وهى من كلامه وليست مرفوعة إلى النبي ﷺ وليس لها حكم الرفع لأن للرأى فيها مجالا وليس ماقاله أنس أمراً سماعياً وفى تأويلها بعد وتكلف وغرابة وتعسف والأدلة الكثيرة القوية القاطعة العقلية والنقلية تعارضها ومعارض القاطع ساقط عن درجة الإعتبار فلا يعتد به ولايلتفت إليه ، إذ لايعقل أن يحفظ القرآن جميعه فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم أربعة من الصحابة فقط ولايكون محفوظاً لغيرهم من الصحابة مع توافر عددهم وتجاوزهم عشرات الألوف ووجود الدوافع التى تدفعهم إلى حفظه والحوافز التى تحفزهم إلى إستظهاره وإستيعابه وعظيم رغبتهم فى الخير وإعتمادهم على ذاكرتهم فى جميع أمورهم .

ولم يذكر أنس فى العدد عبد الله بن عمرو بن العاص الذى جمع القرآن

وكان مهتما بقراءته كثيراً فقال له الرسول : أقرأه في شهر : الحديث ، ولم يذكر أبا بكر الصديق الذى كان يلازم الرسول أكثر من غيره من الصحابة وقد بنى مسجداً بفناء داره فى مكة كان يقرأ فيه القرآن بصوت عال حتى خشى المشركون على أولادهم ونسائهم أن يأخذ القرآن بألبابهم ويتحولوا من الكفر إلى الإيمان ، ولم يذكر عمر ولاعثمان ولاعليا ولا أبا هريرة الحفاظة المعروف ولانحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه مع موفور رغبتهم فى الخير ونيل الثواب وإدراكهم لقيمة القرآن ومكانته ، وإذا كان عدد الذين قتلوا شهداء من حفظة القرآن وجامعيه سبعين فى بئر معونة ونحو خمسمائة فى موقعة اليمامة القريبة العهد برسول الله فكم عدد من لم يقتل من حفظة القرآن وجامعيه ممن حضر المعركتين ومن لم يحضرهما [وظل باقياً بالمدينة ومكة وغيرهما من سائر الأمصار الإسلامية .

قال الإمام القسطلانى بعد أن ذكر بعض التأويلات للروايات الواردة فى هذا وبعض القراء من الصحابة : وبالجملة فيتعذر ضبطهم على مالايخفى ، ولايتمسك بما فى هذه الاحاديث لما ذكرناه ، وكيف يكون ذلك مع ماورد من قتل القراء ببئر معونة ويوم اليمامة لاسيما مع مافى هذه الاحاديث من الإضطراب في العدد والنفى والإطلاق وليس فيها شيء من المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال العلامة شهاب الدين أبو شامة : وقد أشبع القاضى أبو بكر محمد ابن الطيب فى كتابه « الإنتصار » الكلام فى حملة القرآن فى حياة النبي ﷺ

---

(١) ج ٧ ص ٤٥٨ إرشاد السارى .

وأقاء الأدلة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة وأن العادة تحيل خلاف ذلك ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة وذلك فى أول خلافة أبى بكر ، ومافى الصحيحين قتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة كانوا يسمون بالقراء ، ثم أول القاضى الأحاديث السابقة بوجوه منها اضطرابها و بين وجه الاضطراب فى العدد وإن خرجت فى الصحيحين مع أنه ليس منها شىء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ومنها بتقدير سلامتها فالمعنى لم يجمعه على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التى نزل بها إلا أولئك النفر[1] .

٢ — أن أنس بن مالك لعله قصد بكلامه أن هؤلاء الأربعة المذكورين جمعوه كتابة وحفظاً ، وهذا لا ينفى أن جمعاً غفيراً من الصحابة جمعوه حفظاً فقط أو كتابة فقط ، ففى تخصيصه هؤلاء الأربعة بالذكر منقبة لهم لجمعهم القرآن بالطريقين معا الحفظ والكتابة .

٣ — أن أنساً لعله قصد أن هؤلاء الأربعة جمعوه بكل وجوهه وأحرفه وقراءاته التى نزل بها ، وهذا لاينفى أن طوائف من الصحابة حفظوه وجمعوه لكن ببعض وجوهه وأحرفه وقراءاته ، فتخصيصه الأربعة بالذكر لما فيهم من مزية على غيرهم .

٤ — أن أنساً حين حصر جمع القرآن فى هؤلاء الأربعة لعله أراد الحصر ادعاء ومبالغة ، قال الإمام الكرمانى : لعل السامع كان يعتقد أن هؤلاء

---

(١) جـ ١ ص ٢٤٢ البرهان للزركشى وص ٦٨ نكت الانتصار للصيرفى.

الأربعة لم يجمعوا ، وكان أبو الدرداء ممن جمع ، فقال أنس ذلك رداً عليه وأتى بصيغة الحصر ادعاء ومبالغة ، ولا يلزم منه النفى عن غيرهم بطريق الحقيقة[1] .

فهذا الحصر على نسق الحصر فى قوله تعالى : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً »[2] الآية .

٥ — أن أنساً حين حصر جمع القرآن فى هؤلاء الأربعة — وهم من قبيلة الخزرج — لم يرد الحصر الحقيقى ولعله أراد الحصر الإضافى بالنسبة إلى قبيلة الأوس وحدها ، وهـذا لا يمنع أن طوائف من الصحابة من غير قبيلة الأوس جمعوه وحفظوه كله ، قال العلامة ابن حجر[3] : ويدل لهذا الاحتمال ما رواه ابن جرير الطبرى عن قتادة عن أنس فى أول هذا الحديث من أنه افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس : منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر ، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت ، فقال الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم فذكرهم .

فيحتمل أن أنسا أراد من الحصر ما وقع فى هـذه المفاخرة بين الأوس والخزرج على ما جاء فى رواية الطبرى عن قتادة فلا يكون الحصر حقيقياً بل هو بالإضافة إلى الأوس .

---

(١) جـ ٩ ص ٥٣ فتح البارى .
(٢) سورة الأنعام ١٤٥ .
(٣) جـ ٩ ص ٥١ فتح البارى .

٦ — أن أنساً لعله أراد من حصر جمع القرآن فى الأربعة المذكورين أن هذا بالنظر إلي علمه ومعرفته وليس بالنظر إلى الواقع ، أى أنه لم يبلغه ولم ينم إلى علمه أن غير الأربعة المذكورين جمع القرآن وحفظه ، فحين أجاب قتادة أجابه بحسب علمه ومعرفته ، وإذا كان أنس يريد الحصر الحقيقى الواقعى فهو مخطىء فى رأيه واعتقاده وكلامه ليس بحجة إذ الواقع يخطئه .

٧ . أن كلام أنس على ظاهره ولا يعد كلامه ثغرة ولا متمسكا يتمسك به الملاحدة وأعداء الإسلام فى طعنهم فى تواتر القرآن إذ لا يشترط فى تواتره أن يحفظه من أوله إلى آخره كل فرد من الصحابة وإنما يكفى أن يكون كل جزء منه محفوظاً لعدد يتحقق بهم التواتر فلو حفظ جميعهم جميعه ولو على التوزيع لكفى وكان القرآن بأكمله متواتراً بلا ريب ، قال الإمام المازرى : لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع فى نفس الأمر كذلك لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم فى البلاد وهذا لا يتم إلا إن كان لقى كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمعه فى عهد النبى ﷺ وهذا فى غاية البعد فى العادة ، وإذا كان المرجع إلى ما فى علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك ، وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه فإنا لا نسلم حمله على ظاهره ، سلمناه ولكن من أين لهم أن الواقع فى نفس الأمر كذلك ، سلمناه لكن لا يلزم من كون كل من الجم الغفير لم يحفظه أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل

فرد جميعه بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى[1] اهـ .

فتحصل مما تقدم أن بعض العلماء رد ما روى من روايات فى حصر جمع القرآن فى الأربعة المذكورين من الصحابة ، وبعضهم أولها والتأويل إما لمفهوم الحصر وإما لمفهوم الجمع ، وكلا التأويلين يصرف الحصر والجمع عن ظاهرها .

وأوجه الأجوبة وأولاها بالقبول فى نظرى هو الجواب السابع والأخير لأنه أخذ بكلام أنس وحمله على ظاهره ووجهه توجيهاً سديداً لا غبار عليه بخلاف الأجوبة الأخرى التى فى بعضها بعد وتكلف ، وفى بعضها الآخر غرابة وتعسف .

---

(١) جـ ١ ص ٧٠ الإتقان للسيوطى ، وانظر جـ ٥ ص٣٢٨ صحيح مسلم بشرح النووى وجـ ٩ ص ٥٢ فتح البارى .

جمع القرآن بمعنى كتابته فى عهد الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

نزل القرآن الكريم على رسول الله مفرقاً فى نحو ثلاث وعشرين سنة وكان كلما نزل منه شيء بادر الرسول بتبليغه لأصحابه وحثهم على حفظه واستيعابه وقراءته وإقرائه ، وأمر كتاب الوحى أن يكتبوا ما نزل منه ويقيدوه فى السطور عقب نزوله مباشرة وكان يتولى بنفسه الإملاء عليهم من حفظه ، حتى تمت كتابة القرآن كله فى حضرته صلى الله عليه وآله وسلم ورعايته وإشرافه وعنايته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ومن الأدلة على أن الرسول كان يأمر بكتابة ما نزل من القرآن فور نزوله وأنه كتب كله فى حضرته :

(أ) ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم بسندهم عن ابن عباس عن عثمان رضى الله عنهم أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا [1] .

---

(١) جـ ١ ص ٢٠٨ كتاب الصلاة باب من جهر بالبسملة سنن أبى داود وجـ ٢ ص ٢٢١ ـ ٣٣٠ كتاب التفسير سورة التوبة المستدرك للحاكم .

(ب) وما رواه مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه)[١] .

(ج) وما رواه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه ـ وأقره الذهبي ـ بسندهم عن زيد بن ثابت أنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع : الحديث[٢] .

قال الإمام البيهقى : يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها وجمعها باشارة من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال البغوى : يقال : إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها لرسول الله وقرأها عليه وكان يقرىء الناس بها حتى مات ، وقال الحارث المحاسبي فى كتابه « فهم السنن » : كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً فى الرقاع والأكتاف والعسب وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى

---

(١) جـ ٥ ص ٨٤٧ كتاب الزهد باب التثبت فى الحديث وحكم كتابة العلم صحيح مسلم بشرح النووى وأخرجه أبو داود والترمذى فى كتاب العلم .

(٢) جـ ٥ ص ٣٩٠ أبواب المناقب سنن الترمذى وجـ ٢ ص ٢٢٩ ــ ٦١١ المستدرك للحاكم .

لا يضيع منها شيء[1] .

فهذه روايات ونصوص دالة على أن القرآن قد كتب جميعه بأمره صلى الله عليه وآله وسلم وفي حضرته وبين يديه وأن كل جزء منه وضع في موضعه بحضرته وأمره وإرشاده وتوقيفه الذي علمه من جبريل عليه السلام لا برأي أحد من كتبة وحيه واجتهاده .

(٣) ج ١ ص ٥٠ -٥٧ - ٥٨ الإتقان و ج ١ ص ٢٣٨ البرهان .

كتاب الوحي لرسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

وقد اتخذ رسول الله من بين أصحابه بمكة المكرمة ثم بالمدينة المنورة من كانوا يعرفون الكتابة ويحسنونها ويجيدونها لكتابة القرآن الكريم منهم الخلفاء الأربعة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة والزبير ابن العوام وخالد بن الوليد وأبي بن كعب وسعد بن أبي وقاص وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن رواحة وثابت بن قيس وغيرهم كثير، وقد قام بعض العلماء باحصاء كتاب وحيه صلى الله عليه وآله وسلم بين يديه فبلغوا ثلاثة وأربعين كاتباً(١) .

وكانوا يكتبون القرآن بمداد بدليل ما أخرجه البخاري بسنده عن البراء ابن عازب قال : لما نزلت « لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله قال النبي صلى الله عليه وسلم أدع لي زيداً وليجيء باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة : الحديث(٢) ، وماورد من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاوية بن أبي سفيان وكان من كتاب الوحي : ألق الدواة

---

(١) جـ ٩ ص٢٢ فتح الباري و جـ ٢٠ ص ١٩ عمدة القاريء و ص ٢٠- ٢١ تاريخ القرآن للزنجاني .

(٢) جـ ٦ ص ٢٢٧ كتاب فضائل القرآن باب كاتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحيح البخاري .

وحرف القلم : الحديث[1] .

أما المكتوب فيه فلم يكن نوعا واحداً ميسراً لهم بل كان أنواعا مختلفة وأصنافاً متعددة ، فقد كانوا يكتبون في :

(أ) الرقاع : جمع رقعة وهى القطعة من الجلد أو القماش ونحوهما .

(ب) الأكتاف : جمع كتف مثل كبد وهو : العظم المعروف من الحيوان كالإبل والبقر والغنم كانوا يكتبون عليه بعد جفافه .

(ج) الأضلاع : جمع ضلع – وهو لفظ مؤنث – بكسر الضاد وفتح اللام كعنب وتسكينها جائز ، وهي العظم المعروف من الحيوان فى جنبيه كانوا يكتبون عليه بعد جفافه .

(د) الأقتاب : جمع قتب بفتح الأول والثانى مثل سبب وأسباب وهو : الخشب الذى يوضع فوق ظهر البعير للركوب عليه .

(ه) الصحف : جمع صحيفة وهى القطعة التى يكتب فيها سواء كانت من ورق أم من جلد .

(و) الألواح : جمع لوح وهو الصحيفة العريضة سواء كانت من خشب أم من عظم ، إذا كتب عليها سميت لوحا .

(ز) العسب : جمع عسيب وهو الطرف العريض من جريدة النخل .

---

(١) ج ٣ ص ٢٣٦ الشفاء للقاضى عياض بشرحيه للقارى والشهاب الخفاجى .

(ح) اللخاف . جمع لخفة بفتح الأول وسكون الثانى وهى الحجارة الرقاق البيض العريضة .

ولما كان القرآن ينزل منجما على حسب الدواعى ومقتضيات الأحوال كانوا يكتبون فى هـذه الأنواع المختلفة بين يدى رسول الله ما نزل منه بلا ترتيب ،وكان الرسول إذا علم عن طريق جبريل عن الله عز وجل ترتيب شىء من القرآن فإنه كان يبادر بإخبار أصحابه وكتاب الوحى بذلك ويرشدهم إلى كيفية الترتيب فيحفظونه ويكتبونه بنفس الترتيب الذى سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقومون حريصين على تبليغ ذلك لسائر المسلمين .

وكانت هذه الأنواع المختلفة والأصناف المتعددة التى كتبوا فيها بين يدى الرسول وأمره وإشرافه محفوظة عنده مودعة فى بيته ، ولم تكن مرتبة متوالية بحيث يقع بعضها عقب بعض ولم يكن لها دفتان أي غلاف يجمعها أى لم تكن كالكتاب الواحد الذى له غلاف يضم بداخله أوراقاً مرتبة مرقمة يقع بعضها إثر بعض ، وإنما كانت متفرقة مبعثرة غير مرتبة وهو وضع طبيعى وأمر ضرورى ولهم عذرهم لأن هذه الأشياء التى كتبوا فيها ليست من نوع واحد ولا فى حجم واحد حتى يتمكنوا من ضم بعضها إلى بعض وترتيبها وتغليفها .

ولم تكن كتابة القرآن مقصورة على كتابته بين يدى رسول الله وله ، وإنما قام كثير من الصحابة ـ إلى جانب الحفظ والإستيعاب ـ بكتابة ماكان ينزل منه لأنفسهم وعظمت فى ذلك رغباتهم وتوفرت له هممهم اهتماماً بالقرآن وتقديراً لمنزلته وتقديساً لمكانته وليكون مرجعاً عندهم فى بيوتهم يرجعون إليه عند الحاجة وأقرهم الرسول على هذا ، فمنهم من كتبه كله ، ومنهم من

كتب معظمه ، ومنهم من كتب آيات وسوراً متفرقة منه ،ومنهم من لم يكتف بكتابة الثابت المتواتر منه بل كان يكتب فى مصحفه ما نسخت تلاوته وبعض الأوعية وبعض التفسيرات والمعانى القرآنية ليرجع إليها وقت الحاجة كما فعل عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وعلى بن أبى طالب وغيرهم فى مصاحفهم الخاصة بهم .

وطائفة من الصحابة لم تكتب أصلا لإنتشار الأمية بينهم أو لعدم توفر أدوات الكتابة وتيسرها لهم أو لاعتمادهم على قوة الذاكرة وحدة الحافظة على عادة العرب فى حفظ أنسابهم وأشعارهم وأثارهم .

ولم يلحق الرسول بالرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مكتوب محفوظ فى تلك الأشياء المتنوعة محفوظ لعشرات الألوف من الصحابة معروف لهم بالتوقيف ترتيبه من أوله إلى آخره ومن ألفه إلى يائه .

سبب كتابة القرآن فى عهد الرسول

والدافع إليها

١ — لما كان القرآن الكريم الدعامة الأولى فى صرح الإسلام العظيم معجزاً بلفظه ومعناه ونظمه وترتيبه متعبـدا بتلاوة لفظه ولا تحل قراءته بالمعنى كالسنة ولا يمكن أن تقوم عبارة أخرى مقام عبارة منه فى إحكام اللفظ ودقة المعنى وجودة النظم وبديع الترتيب وسمو الإعجاز كان جديرا أن يعنى بنصه الرسول والصحابة الكرام أتم العناية ويحوطوه بالإهتمام والرعاية ويصونوه من أدنى تغيير وأقل تحريف ولا يتأتى هذا إلا بأمرين مجتمعين هما : حفظه وكتابته ، وقد تم ذلك وتحقق على أبلغ وجه وأكمله .

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان حافظاً للقرآن كله مستحضرا له فى قلبه مستجمعاله فى صدره ، وعشرات الألوف من الصحابة كانوا يحفظونه على تفاوت بينهم فى مقدار المحفوظ كل حفظ على حسب همته فى الحفظ وظروفه الخاصة به.

ولم يكتف الرسول بهذا بل أمر كتاب الوحى -منذ أول قطرة نزلت من هذا القرآن العظيم والغيث العميم والفيض الربانى الكريم — أن يكتبوا باملائه وإشرافه كل شىء ينزل منه عقب نزوله مباشرة إلى أن كمل نزولا وكمل كتابة وتدويناً ، لأن الكتابة تعاضد الحفظ وتظاهره وتؤيده وتؤازره ففى اجتماعهما لنص القرآن واقترانهما به أعظم حفظ وأقوى صيانة له من أن يطرأ عليه شىء من التغيير وأدفع لأى ريبة تحوم حوله .

٢ — وفى كتابة القرآن وتدوينه فى السطور إلى جانب حفظه فى الصدور بقاء وتخليد له وتبليغ له على أكمل وجه وأوسع دائرة لأن الاعتماد على حفظ الصحابة وحده فى نقل القرآن وتبليغه لا يكفى لأنهم بشر والبشر عرضة للنسيان والسهو والموت ، ففى كتابته إلى جانب حفظه بقاء وتخليد لنصه وتوسيع لدائرة تبليغه قال تعالى : «وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ» الآية[1] .

٣ - وقد ترتب على كتابته فى عهد رسول الله فائدة جليلة ظهرت فيما بعد وهى أن الصحابة الذين قاموا بجمعه وكتابته فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق اعتمدوا على مصدرين . الأول حفظ الصحابة له ، والثانى كتابته فى الأصناف المتعدده التى كتب عليها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى ذلك تمام التحرى والتثبت وكمال الإطمئنان والإستيثاق للقرآن بخلاف مالو اعتمدوا فى جمعه فى عهد أبى بكر على مصدر واحد وهو حفظه فقط أو كتابته فقط .

---

(١) سورة الأنعام ١٩ .

السبب فى عدم جمع الرسول القرآن

فى صحف أو مصحف كما حصل فيما بعد

علمنا أن القرآن كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعاً ومكتوباً في أصناف متعددة ولم يكن مكتوباً فى صحف مجتمعة ولا فى مصحف له دفتان كما حصل فيما بعد فى عهد أبى بكر ثم فى عهد عثمان رضى الله عنهما ، والسبب فى هذا :

١ — أن القرآن نزل منجما على الرسول واستغرق نزوله نحو ثلاث وعشرين سنة وكان يتنزل عليه منذ اصطفائه للرسالة إلى قبيل وفاته ، ومن ثم فانه لا يمكن جمعه وكتابته على التوالى فى صحف مجتمعة ذات دفتين وهو مستمر فى النزول .

٢ — أن آيات قرآنية كثيرة كانت تنزل من سور متعددة على حسب الدواعى ومقتضيات الأحوال بلا ترتيب ثم يعلم الرسول ترتيبها فى سورها فيما بعد بطريق الوحى . فلو أمر كتاب الوحى أن يكتبوا كل ما ينزل من القرآن فى صحف عقب نزوله ويوالوا فى الكتابة للزمه أن يأمرهم بإعادة الكتابة مرة ثانية بعد أن يعلم ترتيب ما نزل ، وفى ذلك عناء كبير وتعب كثير ، قال الزركشى: وإنما لم يكتب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يفضى إلى تغييره كل وقت فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن

بموته صلى الله عليه وسلم فكتبه أبو بكر والصحابة من بعده ثم نسخ عثمان المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار اهـ[1]

٣ — أن الوحي كان ينزل في أوقات مختلفة بنسخ بعض الآيات القرآنية فلو أمر الرسول أصحابه كتاب وحيه بكتابة ما ينزل من القرآن في صحف على التدريج والتوالي وضم ما ينزل إلى سابقه للزمه أن يأمرهم بتغيير الكتابة وإعادتها عندما ينزل الوحي بنسخ بعض الآيات لأن المنسوخ إذا لم يرفع ويمح فإنه يؤدي إلى الاختلاط والالتباس والتعارض ، وفي تغيير الكتابة وإعادتها من حين لآخر حرج وعناء ومشقة كبيرة ، قال الزركشي : ... وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعضه فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين[2] .

٤ — أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان حيا موجوداً بين صحابته وكانت لهم همتهم العلية وعزيمتهم الوثابة القوية في حفظ القرآن وكتابته ومدارسته ، وكان رسول الله مرجعهم في كل ما يحتاجون إليه ويستفسرون عنه من أمور دينهم والفتنة مأمونة بوجوده صلى الله عليه وآله وسلم بينهم ، فلم يكن هناك داع لجمع القرآن وكتابته في نوع واحد لا سيما أن أدوات الكتابة ووسائلها لم تكن ميسرة لهم ، بخلاف الحال في عهد أبي بكر ثم

---

(١) جـ١ ص ٢٦٢ البرهان .

(٢) جـ١ ص ٢٣٥ البرهان .

فى عهد عثمان رضى الله عنهما فقد كان هناك داع ومبرر لجمع القرآن وكتابته بطريقة أخرى .

ومما تقدم تعلم أن المراد بالجمع الكتابى للقرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو :

ضم القرآن كله كتابة بحيث لا تشذ كلمة واحدة ولا حرف واحد منه عن الكتابة بغض النظر عن كونه مكتوباً فى نوع واحد وفى صحف مجتمعة ذات دفتين .

جمع القرآن فى عهد أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووقعت في عهده حروب طاحنة بين المسلمين والمرتدين عن الإسلام ، وكان من أعظمها وأشدها معركة اليمامة التي دارت رحاها في العام الثاني عشر الهجري بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب وأتباعه المرتدين الخارجين عن الإسلام ، ولما قتل في هذه المعركة من الصحابة وحفاظ القرآن عدد كبير يقدر بخمسمائة وقيل بسبعمائة خشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكثر القتل في قراء القرآن وحفاظه ويتكرر في معارك أخرى ، وقد يكون عند من يستشهدون منهم شيء من القرآن يحفظونه ولا يحفظه غيرهم ، ولا يبعد مع هذا أن يفقد بمرور الزمن شيء من الأنواع المتعددة التي كتب عليها القرآن بين يدي رسول الله ، وقد يكون ما كتب فيما يفقد من تلك الأنواع لا يحفظه إلا القراء الذين يستشهدون ، فيترتب على هذا ضياع شيء من القرآن .

فأقلق هذا الاحتمال وهذا الخاطر بال عمر وآلمه وأرقه وأقض عليه مضجعه فذهب لتوه إلى أبي بكر يخبره بما يجول في نفسه ويطالبه بأن يجمع القرآن في صحف من نوع واحد متماثلة في المقدار والحجم بحيث يمكن ضم بعضها إلى بعض وجعلها بين دفتين وفي مكان أمين وحرز مكين حتى يمكن صيانة القرآن والمحافظة عليه من الضياع بدلا من تركه مكتوباً مفرقاً في العسب

والرقاع واللخاف وغيرها من بقية الأصناف ، فتردد أبو بكر فى بادىء الأمر ظنا أن ذلك من المحدثات ولكن عمر الفاروق الذى جعل الله الحق على لسانه وقلبه ومنحه الفراسة لم يزل به يبين له قيمة هذا العمل وثمرته حتى وافق أبو بكر وعرف أن ما أشار به عمر هو الحق والصواب ، فأرسل إلى زيد ابن ثابت رضى الله عنه وندبه للقيام بهذه المهمة العظيمة القدر الجليلة الشأن فتردد زيد وراجعهما ولكنهما أقنعاه حتى شرح الله صدره واقتنع بأن ما أشارا به هو الحق والرشد وفيه صيانة للقرآن وحفظ للاسلام ، فقام بتنفيذ ما كلف به خير قيام باذلا فى سبيل ذلك الجهد المضنى إلى أن تم جمعه بغاية الدقة والتثبت والإتقان فى صحف مجتمعة لا متفرقة .

روى البخارى بسنده عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال : أرسل إلى أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضى الله عنه : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر ـ أى كثر واشتد ـ يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له

صدر أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر[1] .

ويفهم من هذا الحديث :

١ — أن الدافع إلى جمع القرآن في عهد أبي بكر هو الخوف من ضياع شيء منه إذا ما كثر القتل فى قرائه وحفاظه في معارك أخرى قادمة مع أعداء الإسلام الخارجين عنه المتمردين عليه .

٢ — وأن أبا بكر نفر فى بادىء الأمر من تنفيذ ما أشار به عمر لأنه اعتبر ذلك أمراً محدثاً لم يكن موجوداً فى عهد الرسول ولم يوص به وأن من يفعله كأنه أحرص على الدين من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأشد اهتماما به منه فلما ناقشه عمر واستبان له الحق استجاب لرأيه وعرف أن فى ذلك الخير العميم والنفع التام للاسلام والمسلمين ، وما وقع لأبي بكر وقع لزيد بن ثابت ، قال ابن بطال : إنما نفر أبو بكر أولا ثم زيد بن ثابت ثانياً لأنهما لم يجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ، فلما نبههما عمر على فائدة

---

(١) ج ٦ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن : صحيح البخارى .

ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال فى المستقبل إذا لم يجمعا القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة رجعا إليه .

وقال الباقلانى ما مفاده : أن هذا الجمع أصبح وسيلة لحفظ القرآن وصيانته ، وكل ما كان وسيلة لذلك فهو واجب ، والوسائل تختلف باختلاف الظروف والأحوال ، فترك الرسول لجمع القرآن على هذا الوجه لايدل على المنع منه لأنه تركه لأسباب وقد زالت ، ولأن الباعث على هذا الجمع وهو خوف ضياع شيء من القرآن بموت حفاظه لايمكن أن يقع فى عهد الرسول لأنه مادام موجوداً والوحى باق فلايمكن أن يضيع شيء من القرآن بخلاف الحال بعده[1] .

٣ – وأن أبا بكر ذكر الصفات التى أهلت زيد بن ثابت رضى الله عنه للقيام بهذه المهمة الجليلة وهى :

(أ) أنه رجل شاب : والرجولة والشباب والقوة والحيوية لابد من توافرها لمن يقوم بهذا العمل الكبير حتى يستطيع مواصلته وإتمامه .

(ب) أنه عاقل : والعقل والذكاء والفطانة والكياسة لابد من توافرها لمن يقوم بهذا العمل العظيم حتى لايقع فيه خلل ولانقص .

(ج) أنه غير متهم : والثقة والأمانة والتقوى لابد من توافرها لمن يقوم بهذا العمل الجليل حتى لايرتاب فى عمله مرتاب .

(د) أنه كان يكتب الوحى لرسول الله : ولاشك أن كتابته الوحى

---

(١) أنظر جـ ٩ص١٣ — ١٤ فتح البارى لابن حجر .

لرسول الله وتفرغه للكتابة أكثر من غيره وحضوره العرضة الأخيرة للقرآن[1] كما جاء في بعض الروايات جعلت عنده خبرة وممارسة وإقتداراً على القيام بهذا العمل المبارك الطيب فاذا قام به جاء العمل متقنا كاملا غير منقوص .

وهذه الصفات والمؤهلات كانت موجودة في غير زيد من الصحابة ولكنها لم تكن مجتمعة بأكملها وكمالها إلا فيه رضي الله عنه[2].

---

(١) العرضة الأخيرة هي العرضة الثانية من العرضتين اللتين حصلتا في شهر رمضان في السنة الأخيرة من حياته صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ورد في الاحاديث الثابتة الصحيحة أن جبريل عليه السلام كان يعارض رسول الله بالقرآن في رمضان من كل سنة مرة واحدة فكان يلقاه في كل ليلة من الشهر حتى ينقضي الشهر وأنه عارضه في السنة الاخيرة من عمره مرتين ، وكانت المعارضة فيما نزل من القرآن ، ونزل قرآن قليل بعد العرضة الأخيرة لان رسول الله عاش بعدها نحو خمسة أشهر ، وقد إختلف العلماء في كيفية المعارضة فقيل : إن جبريل كان يقرأ أولا ورسول الله يسمع ثم يقرأ الرسول ويعيد عين ماقرأه جبريل ، وقيل : إن أحدهما كان يقرأ والآخر كان يسمع بلا تعيين ، وقيل : إن إحدهما كان يقرأ والآخر كان يسمع على سبيل التناوب ، والظاهر الأول لقوله تعالى في سورة القيامة « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » أي إذا قرأه جبريل بأمرنا فاتبع قراءته ، ولأن الغاية من المعارضة — كما يرى أستادنا المرحوم الشيخ عبد الوهاب غزلان وغيره من علماء — تأكيد حفظ الرسول للقرآن وتقرير إستظهاره له وترسيخه وتثبيته في قلبه بحيث لاينساه أنظر ص ١٩٠ البيان في مباحث من علوم القرآن لشيخنا المرحوم عبد الوهاب غزلان .

(٢) أنظر ص ١٢٤ المقنع للداني و ص ٢٥ مقدمة كتاب المباني ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان في علوم القرآن .

٤ ـ وأن زيداً تهيب القيام بجمع القرآن لانه خاف أن يقع منه خلل أو تقصير فى هذا العمل الكبير، وهذا يدل على تحقق الأمانة فيه وكمالها وتقديره العمل الذى أسند إليه وكلف به وإجلاله للقرآن ومعرفته قيمته ومكانته وقداسته .

وفيما أشار به عمر وصنعه أبو بكر وزيد منقبة عظيمة لكل منهم يحفظها له التاريخ ويسجلها بفخر وإعتزاز بمداد من نور ويجزيه الله أحسن الجزاء .

٥ ـ أما خاتمة براءة فسأتحدث عنها إن شاء الله أثناء حديثى عن الشبهات الواردة على جمع القرآن ودحضها .

وبقيت الصحف محفوظة عند أبى بكر إلى أن توفاه الله لأنه الخليفة على المسلمين والقائم على أمر الدين ، ثم نقلت إلى الخليفة الثانى عمر وظلت محفوظة عنده إلى أن توفاه الله ، ثم ظلت محفوظة عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر لأنها كانت زوج رسول الله ووصية عمر من أولاده على أوقافه وتركته إلى أن طلبها منها الخليفة الثالث عثمان بن عفان وإستنسخ منها المصاحف التى أرسلها إلى الأمصار ثم ردها إليها كما وعدها فبقيت محفوظة عندها إلى أن إنتقلت إلى رحمة ربها ومولاها عز وجل .

أين ذهبت الأشياء التى كتب عليها القرآن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ سؤال يحتاج إلى جواب

طريقة جمع القرآن فى عهد أبى بكر

رضى الله تعالى عنه

اعتمد زيد بن ثابت ومن معه فى جمعهم القرآن على طريقين مجتمعين وهما: النقل من الأنواع التى كتب فيها القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأخذ عن الحفاظ للقرآن وقرائه، وقد كانوا متوافرين يفوقون الحصر، وكانوا يعارضون المكتوب بالمحفوظ ويقابلونهما مبالغة منهم فى الدقة والتحرى والتثبت للنص القرآنى، ومما يدل على اعتمادهم على المصدرين معا الكتابة والحفظ:

(أ) قول زيد بن ثابت فى الحديث المتقدم: « فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال »، فهذا النص يفيد أنه لم يكتف بأحد المصدرين دون الآخر.

(ب) وقول ابن شهاب الزهري أحد كبار التابعين الآخذين عن الصحابة: « لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبى بكر فى الورق فكان أبو بكر أول من جمع القرآن فى المصحف[1].

(١) جـ ١ ص ٥٩ الإتقان، ولا يخفاك أن فى عبارة ابن شهاب إيجازاً بالحذف.

فقول ابن شهاب الزهرى : « فأقبل الناس » يدل على كثرتهم ووفرتهم وعنايتهم بالأمر ، وقوله : « بما كان معهم » يدل على عرضهم وبذلهم لما حفظوا ، وقوله : « بما كان عندهم » يدل على إحضارهم ما كتبوه من القرآن ، فقد جمعوا بين عرض المحفوظ وعرض المكتوب ومقارنتهما ولم يكتفوا بأحدهما عن الآخر .

(ج) وما جاء فى كتاب المصاحف لابن أبى داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قام عمر فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعسب ، قال : وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شـــاهدان .

ومن طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد : أقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه اهـ[1] .

فهذان الأثران يدلان على جدهم واجتهادهم فى جمع القرآن وعدم اكتفائهم بالحفظ أو الكتابة وعلى أنهم كانوا يعتمدون عليهما معا ويعارضون المحفوظ بالمكتوب بين يدى رسول الله مبالغة فى التثبت والاطمئنان لنص القرآن .

قال الحارث المحاسبي فى كتابه « فهم السنن » : وإنما طلب القرآن متفرقاً

---

(١) ص ٦ - ١٠ المصاحف .

ليعارض بالمجتمع عند من بقى ممن جمع القرآن ، وليشترك الجميع فى علم ما جمع فلا يغيب عن جمع القرآن أحد عنده منه شيء ، ولا يرتاب أحد فيما يودع المصحف ، ولا يشكوا فى أنه جمع عن ملأ منهم ا هـ[1] .

وقد اختلف العلماء فيما يشهد عليه الشاهدان :

فقال الإمام السخاوى : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن .

وقال العلامة أبو شامة : كان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ .

وقال السيوطى : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على رسول الله عام وفاته[2] .

فالمراد بالشاهدين عدلان من الناس ، والظاهر والأولى بالقبول أن شهادة الشاهدين كانت على الكتابة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن شهادة على القرآنية لأن القرآنية لم تكن موضع ارتياب وشك لكثرة حفاظ القرآن وقرائه ووفرتهم فى ذلك العهد فهى فى غنى عن الشهادة بخلاف الكتابة بين يدى رسول الله فان كثيراً من الصحابة كانوا يكتبون

---

(١) جـ ١ ص ٢٣٨ البرهان للزركشى .

(٢) جـ ١ ص ٥٨ الإتقان .

القرآن لأنفسهم خاصة على حسب ما يتيسر لهم في مجلس رسول الله وفي غير مجالسه كما علمت من قبل .

ويرى الحافظ ابن حجر أنه لا مانع من أن يكون المراد بالشاهدين : الحفظ والكتابة[1] ، وما قاله يخالف الظاهر المتبادر من النصوص والآثار الواردة في ذلك الدالة على أن المراد بالشاهدين عدلان من الناس ، ففي قوله ورأيه صرف لظاهر النصوص بلا مبرر .

---

(١) جـ ٩ ص ١٤ فتح الباري .

مشاركة بعض الصحابة لزيد

فى جمع القرآن

ولا يقع فى خاطرك أيها القارىء الكريم أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قام وحده بجمع القرآن ، لأن جمعه عمل عظيم وشاق لا يستطيع أن يتحمل أعباءه شخص واحد كما أن الصحابة لا يمكن أن يفوضوا زيداً ويتركوه وحده فى القيام بهذا العمل لعظمة القرآن فى نفوسهم وقداسته فى قلوبهم ولذا شاركه عدد منهم فى هذه المهمة العظيمة ، ومما يدل على هذا :

(أ) قول الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى : ووقع فى رواية سفيان بن عيينة : « فقال أبو بكر أما إذ عزمت على هذا فأرسل إلى زيد بن ثابت فادعه فإنه كان شاباً حدثا نقيا يكتب الوحى لرسول الله ﷺ فأرسل إليه فادعه حتى يجمعه معنا »[1] .

فقول أبى بكر فى هذه الرواية « حتى يجمعه معنا » دليل على أنه هو وعمر سيشتركان مع زيد فى جمع القرآن ولن يتركا زيداً وحده .

(ب) قول الإمام السيوطى فى الإتقان : روى عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن مردويه عن أبى : أنهم جمعوا القرآن فى خلافة أبى بكر وكان رجال يكتبون[2] .

---

(١) جـ ٩ ص ١٣ فتح الباري .

(٢) جـ ١ ص ٢٧ الإتقان .

فقول أبى بن كعب فى هذه الرواية « وكان رجال يكتبون » دليل على أن زيداً لم يقم بكتابة القرآن وحده وإنما كان معه رجال يعاونونه ويساعدونه فيها .

(ج) ما رواه ابن أبى داود بسنده من طريق أبى العالية : أنهم لما جمعوا القرآن فى خلافة أبى بكر كان الذى يملى عليهم أبى بن كعب[1] .

فهذه الرواية صريحة فى أن أبيا عاونهم فى جمع القرآن وكان يقوم بإملاء الكتبة .

وقد سبقت روايات أخرى تدل على معاونة كثير من الصحابة لزيد ومشاركتهم له فى هذه المهمة الجليلة النافعة .

---

(١) ص ٩ المصاحف .

فوائد جمع القرآن فى عهد أبى بكر

رضى الله تعالى عنه

لجمع القرآن فى عهد الصديق أبى بكر رضى الله عنه فوائد جليلة وثمرات عظيمة منها :

(أ) البحث عن الأشياء المتنوعة التى كتب عليها القرآن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجمعها قبل أن يضيع منها شىء أو تتلف حروفها وتتآكل .

(ب) تجديد كتابتها فى صحف متماثلة مجتمعة يسهل الاحتفاظ بها على الدوام .

(جـ) الاقتصار على كتابة ما أجمع الجميع على قرآنيته وتواتر نصه وروايته ولم تنسخ تلاوته ووجد مكتوبا بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم ، وترك ما عند بعض الصحابة من قرآن منسوخ التلاوة والأدعية والمأثورات وتفسير بعض الألفاظ القرآنية .

(د) اتصال السند الكتابى بالأخذ عما كتب فيه القرآن بين يدى رسول الله ، وهو كاتصال السند المتواتر فى رواية الحديث والأخذ عن الشيوخ ، فتكون كتابته بين يدى رسول الله بمثابة الطبقة الأولى ، وكتابته فى عهد أبى بكر بمثابة الطبقة الثانية ، وكتابته فى عهد عثمان بمثابة الطبقة الثالثة ،

وهكذا مرات كتابة المصاحف العثمانية وطبعاتها ، وفى ذلك أتم العناية بالقرآن وأكمل الرعاية[1] .

(هـ) تسهيل نسخ المصاحف العثمانية من الصحف البكرية حيث وجدت صحفه مجتمعة لا متفرقة .

وينبغي أن تعلم قبل مغادرة هـذا الموضع أن القرآن الكريم لم يجمع فى صحف متماثلة مجتمعة إلا فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فقـد أمر بجمعه وأشرف على القائمين بذلك بنفسه ولم يذكر التاريخ رواية معتمدة تفيد أن أحداً من الصحابة قام بذلك قبـله ، ومن ثم فإن جمع القرآن ينسب إليه فيقال أبو بكر هو أول من جمع القرآن بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويؤيده : رواية ابن شهاب الزهرى السابقة فى بيان طريقة الجمع، وما أخرجه ابن أبى داود فى كتابه المصاحف باسناد حسن عن عبد خير قال : سمعت علياً يقول : أعظم الناس فى المصاحف أجراً أبو بكر رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله[2] ، وما أخرجه ابن أشتة فى كتابه المصاحف عن الليث بن سعد قال : أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت وكان لا يكتب آية إلا بشاهدى عـدل[3] .

---

(1) انظر ص ١٨٥ البيان فى مباحث من علوم القرآن للشيخ عبد الوهاب غزلان رحمه الله تعالى .

(2) ص ٥ المصاحف ، وذكر ابن كثير فى فضـائل القرآن ص ٨ نحوه وصحح إسناده .

(3) جـ ١ ص ٥٨ الإتقان .

وأما أخرجه ابن أبي داود في كتابه المصاحف من طريق ابن سيرين قال : قال علي لما مات رسول الله ﷺ : آليت أن لا آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعه » ، فإسناده ضعيف لانقطاعه كما قال الحافظ ابن حجر(١) ، ونصه معارض بالأحاديث الصحيحة الأخرى ، وعلى تقدير صحته فلعل مراده بجمعه : حفظه كله وجمعه في صدره ، وعلى تقدير صحته وأن المراد بجمعه القرآن كتابته فليس فيه ما يدل على أنه أول من جمع القرآن أو أنه جمعه قبل أبي بكر ، وإنما يدل النص على أن علياً عني بجمع القرآن كتابة لنفسه كغيره من سائر الصحابة الذين كتبوا مصاحف لأنفسهم خاصة بهم يرجعون إليها عند الحاجة في بيوتهم .

---

(١) ص ١٠ المصاحف و جـ ٩ ص ١٣ فتح الباري .

جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان

رضى الله تعالى عنه

اتسعت الدولة الإسلامية بالفتوحات بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخل فى الإسلام جموع غفيرة من العرب ومن غير العرب ، ثم ازدادت الدولة اتساعاً فى عهد الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه كما ازداد الداخلون فى دين الله أفواجا من الأقطار العربية وغيرها ، واستجد نشأ من المسلمين يخفى عليه بعض الحقائق الدينية لا سيما الذين دخلوا فى الإسلام من غير العرب ، وكان كثير من الصحابة قد تفرقوا في الأمصار الإسلامية ومع كل منهم مصحفه ومن القراءات ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد يكون مع أحدهم فى مصحفه وقراءته ما ليس عند غيره ، وأخذوا يعلمون أهلها أمور دينهم ويحفظونهم قرآن ربهم وصار أهل كل مصر يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة ويعتقد كثير منهم أن القراءة على الوجه الذى تلقوه عن الصحابة النازلين بينهم هو القرآن المنزل وما خالفها ليس بقرآن منزل جاهلين أن القرآن نزل على سبعة أحرف .

فمثلا كان معظم أهل الشام يأخذون بقراءة أبى بن كعب ، وأهل دمشق وحمص يأخذون بقراءة المقداد بن الأسود ، وأهل الكوفة بالعراق يأخذون بقراءة عبدالله بن مسعود ، وأهل البصرة يأخذون بقراءة أبى موسى الأشعرى

وغيرهم من أهل الأمصار الإسلامية الأخرى يأخذون بقراءة غير المذكورين من الصحابة المقيمين بينهم .

فكانوا إذا اجتمعوا لأمر من الأمور وقرأوا القرآن اختلفوا وتنازعوا وتمسك كل منهم بقراءته بالوجه الذى تلقاه عن شيوخه من الصحابة وخطأ قراءة الآخر وربما جحدها وأنكرها أو كفر قارئها ، وشاعت هذه الفتنة وانتشرت فى كثير من الأمصار الإسلامية حتى انتقلت عدواها إلى مكة والمدينة وصارت حديث الناس ومسلاهم ، وإليك بعض الروايات الدالة على شدة اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن وتعصب كل لقراءته .

روى ابن أبى داود فى كتابه (المصاحف) والدانى فى كتابه (المقنع) من طريق أبى قلابة : أنه لما كانت خلافة عثمان جعل الرجل يعلم قراءة الرجل والرجل يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع الأمر إلى المعلمين وكفر بعضهم بعضا ، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال : أنتم عندى تختلفون فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا .

وفى رواية : أن عثمان قال : تمترون فى القرآن ، تقولون قراءه أبى ، قراءة عبدالله ، ويقول الآخر والله ما تقيم قراءتك .

وفى رواية : أن الرجل كان يسمع قراءة غيره فيقول : كفرت بما تقول فرفع ذلك إلى عثمان فتعاظم فى نفسه .

وفى رواية : أن ناسا من أهل العراق كان أحدهم إذا سمع آية تقرأ بغير قراءته قال : إنى أكفر بهذه وفشا ذلك فى الناس فتكلم عثمان فى ذلك .

وفى رواية : أن حذيفة بن اليمان كان فى مسجد من مساجد الكوفة زمن

ولاية الوليد بن عقبة بن أبى معيط فسمع رجلا يقول : قراءة ابن مسعود وسمع آخر يقول : قراءة أبى موسى فقام فخطب فى الناس فقال : هكذا اختلف من كان قبلكم والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لآمرنه أن يجعلها قراءة واحدة، ولما قدم المدينة لم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال له : إن أهل الشام يقرأون بقراءة أبى فيأتون بما لم يسمع به أهل العراق ، ويقرأ أهل العراق بقراءة عبدالله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام فيكفر بعضهم بعضا[1] .

(١) انظر ص ١١ وما بعدها المصاحف وص١٦ ما بعدها المقنع .

كيفيه قضاء عثمان رضى الله عنه على الفتنة

ولما علم عثمان رضى الله عنه بسعة الخلاف وهوة الشقاق وحرارته بين المسلمين فى قراءة القرآن وتعصب أهل كل مصر لقراءتهم وأحس بالعواقب الوخيمة والنتائج الأليمة لهذا الحال هاله الوضع وصمم على أن يتدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع ويستأصل الداء قبل أن يعز الدواء فجمع كبار الصحابة وذوى الرأى والنجابة منهم وشاورهم فى الأمر ولم يجد بثاقب نظره وراجح فكره خيرا من أن يشير عليهم بجمع المسلمين على مصحف واحد يتقيدون به فى قراءة القرآن وكتابته ، وتحريق الصحف والمصاحف التى تشتمل على ما يخالف هذا المصحف المزمع كتابته وإلزام الناس به .

فوافقه الحاضرون من الصحابة وهم أهل الحل والعقد واستجادوا رأيه واستصوبوه ، روى ابن أبى داود باسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة قال : والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من على بن أبى طالب رضى الله عنه سمعته يقول : يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا - أو قولوا له خيرا - فى المصاحف وإحراق المصاحف فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً ، فقال : ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : إن قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا ، قلنا : فما ترى ؟ قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة

ولا يكون اختلاف ، قلنا : فنعم مارأيت ا هـ[1] .

وقد نفذ رضى الله عنه بأمانه وصدق وإخلاص وحق ما تم الاتفاق عليه مع كبار الصحابة لجمع المسلمين على مصحف واحد وأزال ما خالفه وقطع بما فعل دابر الفتنة ووأدها فى مهدها .

(١) ص ٢٢ المصاحف .

مصحف عثمان وطريقة إلزام الناس به وحده

لما عزم عثمان رضى الله تعالى عنه على كتابة القرآن فى مصحف واحد أرسل إلى حفصة بنت عمر رضى الله عنهما ووصيته من أولاده على أوقافه وتركته طالباً الصحف التى كتب فيها القرآن فى عهد أبى بكر وكانت صحفاً متحدة النوع متماثلة المقدار مجتمعة بين دفتين أو لوحين فبعثت بها إليه فأمر عثمان جماعة من الصحابة بنسخ الصحف فى المصاحف ونصحهم إذا ما اختلفوا فى كتابة لفظ أن يكتبوه بلغة قريش، ولما انتهوا من نسخ الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة كما وعدها، وأبقى مصحفاً بالمدينة ومحا ما سواه من الصحف والمصاحف فيها، وقام بارسال مصحف إلى كل أفق من الآفاق الإسلامية وأمر باحراق ما سواه من الصحف والمصاحف المخالفة بها.

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضى الله عنهم — وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة — فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى

المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ، قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها في سورتها في المصحف اهـ .

وزاد ابن أبي داود والداني وغيرهما عن ابن شهاب أنه قال : فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه فقال القرشيون : التابوت ، وقال زيد : التابوه ، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه التابوت فانه نزل بلسان قريش[1] .

ولا تظن أن هؤلاء الأربعة المذكورين انفردوا بنسخ الصحف في المصاحف لأن ابن أبي داود ذكر رواية تفيد أن الذين قاموا بنسخ الصحف في المصاحف اثنا عشر رجلا من قريش والأنصار منهم أبي بن كعب ومالك ابن أبي عامر وكثير بن أفلح[2] ، فلعل الأربعة الذين ذكروا في رواية البخاري

(١) جـ ٦ ص ٢٢٩ كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن : صحيح البخاري و ص ١٩ المصاحف و ص ١٤ المقنع ، وآية الأحزاب رقم ٢٣ والتابوت كلمة من آية بسورة البقرة رقم ٢٤٨ .

(٢) ص ٢٥ المصاحف .

كان عليهم العبء الأكبر فى هذه المهمة ولما احتاجوا إلى من يعاونهم للانتهاء مما كلفوا به بسرعة بغية القضاء على الفتنة ضم إليهم عثمان ثمانى رجال آخرين من الصحابة .

وكيفية نسخهم ليست معروفة : هل كان أحدهم يملى والباقى يكتب ، أو كل منهم كان يكتب مساعداً الآخر ، أو كانوا مقسمين أنفسهم اثنين اثنين أحدهما يملى والثانى يكتب ، العلم عند الله تعالى ، والظاهر الأول لأنه المناسب للحالة التى تقتضى الإسراع .

ولم ينسخوا إلا بعد أن فعلوا ما فعل فى الجمع البكرى وهو مقابلة المكتوب بالمحفوظ والاعتماد على المصدرين معاً مبالغة فى التحرى والإستيثاق لنص القرآن وسأبين هذا بالدليل إن شاء الله أثناء حديثى عن آية الأحزاب السابقة ضمن الشبه الواردة على الجمع .

ولا تظن أن المراد من قول عثمان —فانما نزل بلسانهم — (بصيغةالقصر) القصر الحقيقى لأن القرآن نزل على سبعة أحرف ولم ينزل على حرف قريش وحده ، وإنما المراد بالقصر هنا القصر الإدعائى لأن القرآن نزل معظمه قبل الهجرة وكان ينزل على حرف قريش ، وبعد الهجرة ظل ينزل على حرف قريش إلى أن اقتضت الضرورة نزوله على ستة أجرف أخرى بعدفتح مكة ودخول قبائل فى الإسلام تختلف لغاتها عن لغة قريش فى التعبير عن بعض المعانى ، ومن هنا فان حرف قريش هو الأصل المعول عليه فى نزول القرآن ، وما عداه

من الأحرف الستة الأخرى نزل للتوسعة والتيسير والتخيير الذى دعت إليه الضرورة واقتضته المصلحة.

وجاء فى بعض الروايات أن عثمان رضى الله عنه لما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصار: « إنى قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندى فامحوا ما عندكم »[1]، أى جمع من المدينة الصحف والمصاحف المكتوبة على غير حرف قريش والمخالفة للمصحف الجديد وأعدمها وطالب أهل الأمصار أن يفعلوا مثل ما فعل فى الصحف والمصاحف المخالفة.

أما نهاية مطاف الصحف البكرية التى نسخت منها المصاحف العثمانية فهى ما أخرجه أبو عبيد وابن أبى داود بسندهما عن ابن شهاب الزهرى أنه قال: أخبرنى سالم بن عبد الله بن عمر قال: كان مروان — يعنى ابن الحكم — يرسل إلى حفصة يعنى حين كان أمير المدينة من جهة معاوية يسألها الصحف التى كتب منها القرآن فتأبى أن تعطيه — خوفاً من إتلافها إعتزازاً بها — قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه تلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشققت وقال: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف

---

(١) ص ٢٢ المصاحف.

مرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب[1] .

وفى رواية أن مروان أمر بغسلها ، وفى رواية أنه أمر باحراقها ، ولا مانع من أن يكون حصل لها الأمور الثلاثة — مبالغة فى إتلافها ومحوها — وهي التشقيق أولا ثم الغسل ثانياً ثم التحريق ثالثاً جمعاً بين الروايات ، ونعم ما فعل .

(١) ص ٢٤ — ٢٥ المصاحف وانظر ج ٧ ص ١٥٦ مجمع الزوائد للهيثمى .

إشراف عثمان رضى الله عنه على اللجنة القائمة بنسخ الصحف البكرية فى المصاحف

ولم يترك عثمان رضى الله عنه أعضاء اللجنة القائمين بنسخ الصحف البكرية فى المصاحف بلا إشراف وإنما كان يشرف عليهم ويراقبهم ويرعاهم ويعاونهم وينصحهم ويوجههم وكان مرجعهم فيما يريدون الاستفسار عنه ، والدافع إلى هـذا العمل : المحافظة على القرآن الكريم وصيانته من المراء والجدال فيه والكفر به ، وتوحيد صفوف المسلمين وتطهيرها من النزاع والشقاق والتمزق والتفرق .

وهذه بعض الروايات الدالة على إشرافه عليهم ورجوعهم إليه :

١ - أخرج البخارى بسنده عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه قال : قلت لعثمان : هذه الآية التى فى البقرة « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا » إلى قوله : « غير إخراج » قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخى لا أغير شيئاً منه من مكانه اهـ .

فني هذه الرواية دلالة على أنهم كانوا يرجعون إليه فيما يستفسرون عنه وأنه كان يوجههم ويرشدهم إلى الصواب ، قال الحافظ ابن حجر معلقاً على الرواية السابقة : كأن عبد الله بن الزبير ظن أن الذى ينسخ حكمه لا يكتب فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقيف[1] .

٢ — أخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم وصححه وغيرهم بسندهم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطوال .. إلخ[2] .

فخطاب ابن عباس له دليل على أنه كان يعاون اللجنة ويباشر عملها بنفسه .

٣ — مر قريباً فى رواية ابن أبى داود وغيره : أنهم رجعوا إليه أثناء اختلافهم فى كلمة « التابوت » هل تكتب بالتاء كما قال القرشيون : أو بالهاء كما قال زيد : وأنه أمرهم أن يكتبوها بالتاء ، لأن القرآن نزل بلغة قريش .

---

(١) جـ ٨ ص ١٩٤ كتاب التفسير سورة البقرة : فتح البارى .
(٢) جـ ١ ص ٣٢٩ المسند وجـ ١ ص ٢٠٩ كتاب الصلاة باب من جهر بالبسملة : سنن أبى داود .

٤ — جاء فى رواية لابن أبى داود عن كثير بن أفلح أنه قال : وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارءوا فى شىء أخروه[١] .

فهذا النص يدل على أنه كان يشرف عليهم ويراقب عملهم ويرجعون إليه فيما يختلفون فيه .

---

(١) ص ٢٥ المصاحف .

موقف الصحابة من جمع عثمان الناس على مصحف واحد

وتحريقه الصحف والمصاحف المخالفة

وافق الصحابة ومنهم عبدالله بن مسعود رضى الله عنهم على جمع عثمان رضى الله عنه الناس على مصحف واحد وتحريقه ماعداه من الصحف والمصاحف المخالفة له واستحسنوا ما فعل واستصوبوه وعدوه مكرمة من مكرماته وأجمعوا على المصحف العثمانى الجديد ، وقد وردت روايات صحيحة تدل على رضاهم عما فعل وتصويبهم له إليك بعضها :

١ — جاء فى رواية عند ابن أبى داود عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص أنه قال : وكتب عثمان مصاحف فقسمها فى الأمصار فما رأيت أحداعاب ذلك عليه[1] .

(ب) وأخرج ابن أبى داود بسنده عن ثابت بن عمارة الحنفى قال : سمعت غنيم بن قيس المازنى قال : قرأت القرآن على الحرفين جميعا والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ما له قال - أى ثابت - قلنا له : ياأبا العنبر لم ؟ قال : لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر[2] .

(١) ص ٢٤ المصاحف .

(٢) ص ١٣ المصاحف .

(ج) وأخرج هو والدانى بسندهما عن سويد بن غفلة أنه قال : قال على حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته ، وفى روايه أنه قال : لو وليت لفعلت مثل الذى فعل فى المصاحف[1] .

(د) وأخرج هو والدانى بسندهما عن مصعب بن سعد أنه قال : أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أو قال : لم ينكر ذلك منهم أحد[2] .

(هـ) ومرت رواية ابن أبى داود المرويه عن على بن أبى طالب الدالة على استشارة عثمان لكبار الصحابه فى كيفيه القضاء على الفتنة وإجماعهم على ما قال وثنائهم عليه .

---

(١) ص ١٢ - ٢٣ المصاحف وص ١٨ المقنع .

(٢) ص ١٢ المصاحف و ص ١٨ المقنع وأنظر ص ١٣ فضائل القرآن لابن كثير .

عدد المصاحف العثمانية

إختلف العلماء في عدد المصاحف التى أمر عثمان بكتابتها وأرسالها إلى الأمصار :

فقال أبو عمرو الدانى : أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية واحداً: الكوفة والبصرة والشام وترك واحداً عنده ، وقد قيل إنه جعله سبع نسخ وزاد إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين ، والأول أصح وعليه الأئمة(1) .

وقال ابن حجر : اختلفوا فى عدة المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق والمشهور أنها خمسة(2) .

وأخرج ابن أبى داود بسنده عن حمزة الزيات قال : كتب عثمان أربعة مصاحف فبعث بمصحف منها إلى الكوفة فوضع عند رجل من مراد فبقى حتى كتبت مصحفى عليه ،

وقال أبو حاتم السجستانى : لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن

---

(١) ص ١٩ المقنع .

(٢) جـ ٩ ص ٢٠ فتح البارى .

كتب سبعة مصاحف فبعث واحداً إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن وآخر إلى البحرين وآخر إلى البصرة وآخر إلى الكوفة وحبس بالمدينة واحداً(١) .

وقال ابن الجزرى : إن عثمان كتب عدة مصاحف فوجه بمصحف للبصرة، ومصحف إلى الكوفة ، ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفاً بالمدينة ، وأمسك لنفسه مصحفاً الذى يقال له الإمام ، ووجه بمصحف إلى مكة ، ومصحف إلى اليمن ، ومصحف إلى البحرين(٢) .

فترى أن آراء العلماء فى عدد المصاحف متعددة فمنهم من قال: إن المصاحف أربعة ، ومن قال : إنها خمسة ، ومن قال : إنها سبعة ، ومن قال : أنها ثمانية ، ومن قال غير ذلك ، ولم يذكر أحدهم لرأيه دليلا يشهد له ويستند إليه ، والظاهر أن المصاحف التى نسخت بأمر عثمان رضى الله عنه وأرسلت إلى الأمصار كانت كثيرة لأن الهدف من نسخها وإرسالها إلى الأمصار هو: القضاء على الفتنة الناشبة بين المسلمين فى مختلف الأمصار بسبب اختلافهم وتنازعهم فى قراءة القرآن وتصلب كل مصر لقراءته ، والمنع من وقوع هذه الفتنة مرة ثانية فى بلد إسلامى ، ولا يتحقق هذا بإرسال المصاحف إلى بعض الأمصار وترك بعضها الآخر .

ولأن أنس بن مالك رضى الله عنه قال فى حديث البخارى السابق :

---

(١) ص ٣٤ المصاحف .

(٢) جـ١ ص٧ النشر .

« لما نسخوا الصحف فى المصاحف أرسل عثمان إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا » ، ومصعب بن سعد قال فى رواية ابن أبى داود السابقة : « وكتب عثمان مصاحف فقسمها فى الأمصار »[٢] ، فقول أنس « إلى كل أفق » وقول مصعب « فقسمها فى الأمصار » دليل على أن عثمان عم الأمصار كلها بالمصاحف ولم يخص بعضها بالمصاحف دون البعض .

---

(١) راجع ص ١٢٣ - ١٣٠

سبب تعدد المصاحف وفائدته

وقد أمر عثمان رضى الله تعالى عنه بكتابة مصاحف متعددة لغرضين :

الأول : إزالة الخلاف الواقع بين المسلمين فى مختلف الأمصار فى قراءة القرآن والمنع من تكرره أو وقوع مثله فى مصر لم يقع فيه إختلاف .

الثاني : أن تحتوى المصاحف على كل القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواتراً .

والمسلك الذى التزموه ليحافظوا على القراءات ويكتبوها فى المصاحف بحيث لا تخرج قراءة ثابتة عنها : أنهم جردوا المصاحف من النقط والشكل وأن اللفظ إذا كانت صورته خطا تحتمل القراءتين أو الأكثر كتبوه فى جميع المصاحف بصورة واحدة مثل قوله تعالى : (ننشزها) و (ننشرها) بالزاى والراء ، (تبلو) و (تتلو) بالباء والتاء ، (فتبينوا) و (فتثبتوا) الأولى بالباء والياء والنون ، والثانية بالثاء والباء والتاء ، (هيت لك) على أختلاف القراءات فيها[1].

وإذا كان الرسم الواحد لايحتمل القراءتين كأن يكون الاختلاف بين

---

(١) الكلمة الأولى من آية رقم ٢٥٩سورة البقرة، والثانية من آية رقم٣٠ سورة يونس ، والثالثة من آية رقم ٦ سورة الحجرات ، والرابعة من آية رقم ٢٣ سورة يوسف .

القراءتين بالإثبات والحذف فإنهم كانوا يكتبون إحدى القراءتين فى بعض المصاحف والقراءة الأخرى فى بعضها الآخر إشعاراً بأن كلتيهما صحيحة ثابتة وأن القراءة بكل منهما جائزة ، وتلافياً للبس على القارىء وخطئه إذ لو كتبت القراءة مكررة فى مصحف واحد مرة بالإثبات ومرة بالحذف لتوهم القارىء أنها نزلت هكذا مكررة وهو مأمور بقراءتها دفعة واحدة ، ولو جعل للمصحف أصل وحاشية وكتبت إحدى القراءتين فى الأصل والأخرى فى الحاشية لتوهم القارىء أن التى فى الأصل خطأ وأن التى فى الحاشية تصحيح وتصويب لها ولكان ذلك تحكما وترجيحاً بلا مرجح .

وذلك مثل قوله تعالى : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب »[1] فتوجد قراءة بالهمزة وفتح الصاد (وأوصى) وهى موافقة لرسم المصحف المدني والشامي ، وقراءة بالواو وتشديد الصاد المفتوحة (ووصى) وهى موافقة لرسم المصاحف الأخرى .

وقوله تعالى : « تجرى من تحتها الأنهار[2] بإثبات « من » وهى قراءة موافقة للمصحف المكى ، وبحذف « من » وهى قراءة موافقة لغيره من المصاحف .

وإذا كان الخلاف بين القراءتين يسيراً بأن كان فى حرف واحد من بنية الكلمة ورسمها يحتمل القراءتين فإنهم كانوا يكتفون بكتابة الكلمة على إحدى القراءتين فى كل المصاحف مثل قوله تعالى : « وما هو على الغيب

---

(١) سورة البقرة ١٣٢ .

(٢) سورة التوبة ١٠٠ .

بضنين[1] بالضاد المعجمة ، وفى قراءة لأبى عمرو والكسائى وغيرهما (بظنين) بالظاء .

ولا تتحقق المحافظة على القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ وحصرها إلا بكثرة المصاحف وتعددها ، وقد جمع أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف (ص ٣٧ ومابعدها) وأبو عمرو الدانى فى كتاب المقنع (ص ٢٠ وما بعدها) وصاحب مقدمة كتاب المبانى (ص ١١٧ وما بعدها) وغيرهم من العلماء الأجلاء الألفاظ القرآنية التى أختلفت القراءات فيها بالإثبات والحذف ووزعت على المصاحف العثمانية محافظة عليها وصوناً لها .

قال أبو عمرو الدانى : فان سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد فى المصاحف قلت : السبب فى ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه لما جمع القرآن فى المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر فى رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للأمة وإحتياطا على أهل الملة وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة وعلم أن جمعها فى مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين ، وفى رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم مالاخفاء به ، ففرقها فى المصاحف لذلك فجاءت مثبتة فى بعضها ومحذوفة فى بعضها لكى تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وعلى ماسمعت من رسول الله ﷺ

---

(١) سورة التكوير ٢٤ .

فهذا سبب إختلاف مرسومها فى مصاحف أهل الأمصار أ هـ[1] .

ولم يكن إعتماد أهل كل مصر من الأمصار فى القراءة والحفظ على المصحف المرسل إليهم فقط من قبل عثمان رضى الله عنه وإنما كانوا يتلقونه ويأخذونه مشافهة عن شيوخهم من الصحابة الموفدين إليهم من طرف عثمان والمقيمين بينهم الذين تلقوه غضا طريا من فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا هو المسلك السديد والمنهج الرشيد فى حفظ القرآن الكريم لأن القرآن لما كان لأدائه كيفيات معينة لاتعرف من الرسم والمسلم مأمور بترتيله وتجويده وله رسمه الخاص به كان حتما تلقيه عن الشيوخ ويكون سند القارىء الآخذ عن الشيخ متصلا برسول الله بل متصلا بالله عز وجل وفى ذلك عزة ومكرمة لايدانيهما شيء .

وقد إمتثل المسلمون فى كل الأمصار وتفذوا ماأمرهم به عثمان رضى الله عنه فى عصر عثمان ومابعده من العصور فتلقوا القرآن عن شيوخهم بطريق الرواية والمشافهة وكتبوا مصاحف كثيرة على غرار المصاحف العثمانية ولايزالون على هذا الحال إلى اليوم ، ولايضير القرآن فناء المصاحف العثمانية كلها أو بقاء بعضها كما يقال ، وسيبقى المسلمون على الحال المذكور كما سيبقى القرآن مصونا محفوظاً بحفظ الله له مصداقا لقوله تعالى فى صدر سورة الحجر « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

---

(١) ص ١١٨ — ١١٩ المقنع .

فوائد جمع القرآن فى عهد عثمان

رضى الله تعالى عنه

لجمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه فوائد عظيمة منها :

(أ) القضاء على الفتنة القائمة بين المسلمين ووأدها فى مهدها ، وتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم وتطهير المجتمع من أوبئة الشقاق والنزاع .

(ب) قصر المسلمين على حرف واحد وهو حرف قريش فى قراءة القرآن وكتابته .

(جـ) قصر المسلمين فى قراءة القرآن وكتابته على المتواتر الموافق للعرضة الأخيرة الواقعة فى شهر رمضان فى العام الأخير من حياته صلى الله عليه وآله وسلم ومنعهم من كتابة غير المتواتر أو القراءة به .

(د) كثرة النسخ الرسمية المكتوب فيها القرآن الموزعة على الأمصار بعد أن كانت النسخة الرسمية واحدة ومحبوسة فى المدينة .

(هـ) التيسير للمسلمين فى كتابة نسخ كثيرة من النسخ الرسمية العثمانية ، وصار القرآن بذلك متداولا على أوسع نطاق مطبقاً الآفاق متسعة دائرة تبليغه.

مقارنة موجزة بين جموع القرآن الثلاثة

فى العهود الثلاثة

(أ) الباعث على جمع القرآن فى عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو تمام العناية والاهتمام بالقرآن والمحافظة على نصه حيث إنه معجز بلفظه ومعناه متعبد بتلاوة لفظه ولا تحل قراءته بالمعنى كالسنة .

والباعث على جمعه فى عهد أبى بكر رضى الله عنه هو الخوف من أن يضيع منه شىء بسبب توقع موت قرائه وحفاظه في المعارك التى كانت متوقعة مع أعداء الإسلام .

والباعث على جمعه فى عهد عثمان رضى الله عنه هو إخماد الفتنة التى اشتعلت بين المسلمين لاختلافهم وتنازعهم ومرائهم فى قراءة القرآن وتخطئة بعضهم بعضاً فى القراءة إلى حد الإنكار والجحود لها والكفر بها ، وصيانة القرآن من الاختلاف والجدال فيه والكفر به .

(ب) الكتابة الرسمية للقرآن كانت على حرف قريش فى الجموع الثلاثة ، فقد ثبت أن عثمان رضى الله عنه قال للجنة الجمع فى عهده : « إذا اختلفتم فى كتابة شىء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا » ، والمصاحف العثمانية المكتوبة على حرف قريش كما علمنا نسخت من صحف أبى بكر ، وصحف أبى بكر نسخت مما كتب عليه القرآن بين يدى رسول الله

وأمره وإشرافه وإملائه ، ونسخ الشيء هو نقله بعينه بلا تصرف فيه ، ومن ثم كانت كتابة القرآن الرسمية فى الجموع الثلاثة على حرف قريش ، وقد قال بهذا العلامة أبو شامة وغيره من أفاضل العلماء(١) .

أما الكتابة غير الرسمية للقرآن أى كتابة الصحابة القرآن لأنفسهم فلم يكن فيها التزام بحرف قريش فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى عهد أبى بكر وفى الفترة الأولى من عهد عثمان فكانوا يكتبون القرآن لأنفسهم على أى حرف من الأحرف السبعة التى نزل بها توسعة عليهم وتيسيراً وتخييراً لهم إلى أن زالت الضرورة التى أدت لنزوله على سبعة أحرف ووقعت الفتنة وأمر عثمان بنسخ المصاحف وتوزيعها على الأمصار الإسلامية وإلزام الناس بها قراءة وكتابة ومحو كل ما عداها وكان ذلك فى العام الخامس والعشرين من الهجرة .

(ج) كتابة القرآن كانت مجردة من النقط والشكل فى الجموع الثلاثة .

(د) ترتيب الآيات والسور كان موجوداً فى الجموع الثلاثة مشتركا بينها وهو توقيفى كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

(هـ) تجريد القرآن من المنسوخ أمر مشترك بين الجموع الثلاثة لأن الرسول لا يمكن أن يلحق بالرفيق الأعلى ويترك شيئاً من القرآن منسوخا أعلمه جبريل بنسخه ومحوه بين ما لم ينسخ إذ لو تركه لأدى إلى الالتباس على المسلمين وعدم معرفتهم ما نسخ مما لم ينسخ ، ولأن أبا بكر وعثمان رضى الله عنهما

---

(١) انظر جـ ٩ ص ٩-٢٧-٣٠ فتح البارى .

جمع كل منهما القرآن بعد أن انقطع الوحي وانتهى زمن النسخ بموت رسول الله واتضح الناسخ من المنسوخ .

(و) جمع القرآن فى موضع واحد مشترك بين عهدى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما ، أما فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان القرآن مكتوباً فى أشياء متنوعة متفرقة ولم تكن مجتمعة فى موضع واحد .

(ز) جمع القرآن فى صحف متحدة النوع متماثلة المقدار مجتمعة بين دفتين أمر مشترك بين عهدى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما .

(ح) تعدد نسخ القرآن الرسمية وكثرتها وخروجها إلى الأمصار مختص بعهد عثمان رضى الله عنه .

(ط) قصر الناس فى قراءة القرآن وكتابته لأنفسهم على حرف واحد وترك ماعداه من بقية الأحرف مختص بعهد عثمان ذى النورين رضى الله تعالى عنه .

بعض الشبه الواردة على جمع القرآن

علمنا فيما تقدم أن القرآن الكريم قد توفرت له عوامل جمعه وحفظه وصيانته ونقله إلينا متواتراً بلا أدنى تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان، وهو أمر خص الله به الأمة المحمدية دون غيرها من الأمم، ومع وضوح هذا وسطوعه وقطعيته نرى بعض الحاقدين على الإسلام الكارهين للمسلمين هذه المنة العظيمة والنعمة الكريمة يتلمسون المطاعن في القرآن الحكيم أملا في التشكيك فيه وإبطال نصه وخذلان أهله لعلمهم أن القرآن ركيزة الإسلام وأساسه المتين وأصله المكين وبه قوة المسلمين وشوكتهم وبقاؤهم وعزتهم، فراحوا يتصيدون من بطون الكتب الإسلامية مايوافق أهواءهم وأغراضهم الخبيثة وأهدافهم الخسيسة من روايات واهية باطلة دون نظر إلى ما قاله العلماء في أسانيدها، أما الروايات الصحيحة فتارة يقتطعون منها ما يلائم نواياهم السيئة ويتركون بقيتها، وتارة يؤولونها تأويلا يرضى أحقادهم ويشفى — في ظنهم — صدورهم المريضة وعقولهم المهيضة، ضاربين عرض الحائط بتأويلها الحق من جانب العلماء الأجلاء المحققين والأئمة الألباء المدققين، وصاغوا من ذلك دعاوى وشبهات على جمع القرآن الحكيم إليك بعضها والجواب عنها:

الشبهة الأولى

قالوا : كيف يقال إن القرآن كله متواتر مع أنه جاء فى صحيح البخارى فى حديث جمع القرآن فى عهد أبى بكر قول زيد بن ثابت : « فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره» — « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ... حتى خاتمة براءة .... فألحقتها فى سورتها» .

وفى حديث جمعه فى عهد عثمان قوله : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري — « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » — فألحقناها فى سورتها فى المصحف .

فهاتان الروايتان الصحيحتان تدلان على أن هذه الآيات كتبت وثبتت فى المصاحف بخبر الواحد وأنها غير متواترة وأن ترتيبها ووضعها فى موضعها من فعل بعض الصحابة وإجتهادهم وليس القرآن كله متواتراً ولا توقيفى الترتيب كما تقولون .

ونجيب فنقول : إن الرواية الأولى رواها البخارى فى أماكن متعددة من صحيحه[1] ، فى بعضها أن الذى وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة

---

(١) أنظر ج ٦ ص ٨٩ كتاب التفسير سورة براءة و ص ٢٢٥—٢٢٧=

الأنصارى ، وفى بعضها أنه خزيمة الأنصارى ، وفى بعضها شك حيث جاء فى الرواية أن زيداً قال : فوجدت آخر سورة التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » إلى آخرها مع خزيمة أو أبى خزيمة فألحقتها فى سورتها(١) .
وإن الرواية الثانية رواها كذلك فى أماكن متعددة من صحيحه(٢) .

وإن الأخذ بظاهر تين الروايتين خطأ لأنه ينفى الثقة عن القرآن الكريم ولأن هذا الظاهر غير مراد بل باطل إذ يستحيل أن يخص النبى ﷺ أحد أصحابه فضلا عن أحد الصحابة بتبليغ شىء من القرآن إذ الشخص الواحد يجوز أن ينسى أو يقصر فى التبليغ فلكى يتم تبليغ الرسول القرآن لابد أن يبلغ عدداً كبيراً من الصحابة يتحقق بهم التواتر خصوصاً أن القرآن متعبد

= كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن، وباب كاتب النبى ﷺ وج٩ ص٩٢ كتاب الأحكام باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلا وص ١٥٣ كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء وكلها فى صحيح البخارى .

(١) والأصح أن الذى وجد عنده آخر سورة التوبة هو أبو خزيمة بن أوس بن يزيد من بنى النجار وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنهما . والذى وجد عنده آية الأحزاب هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه ويعرف بذى الشهادتين وقتل يوم معركة صفين أنظر (ج١ ص ٩ تفسير الخازن و ج٨ ص ٥١٨ — وج٩ ص ١٥ — ٢١ فتح البارى .

(٢) أنظر ج٤ ص٢٤ كتاب الجهاد باب قول الله تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وج٦ ص ١٤٦ — ٢٢٦ كتاب التفسير سورة الأحزاب ، وكتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ، وكلها فى صحيح البخارى .

بتلاوته ، ولأن الصحابة أجمعوا على كتابة هذه الآيات فى الصحف ثم أجمعوا على كتابتها فى المصاحف و لا يعقل أن يجمعوا على كتابتها إلا إذا كانت متواترة معلومة لهم إذ القرآن لا يثبت إلا بالتواتر .

ولأن الصحابة كانوا — مع أنهم عدول — يتحرون الدقة والصدق فى نقل الحديث وحفظه ، كان الواحد منهم إذا سمع حديثاً مرفوعاً لا يأخذ به إلا إذا تحقق وتأكد له أن رسول الله قاله وشهد بهذا آخرون ، وإذا كان هـذا حالهم فى الحديث مع حل روايته بالمعنى بشروطها فكيف فى القرآن الذى لا تحـل قراءته بالمعنى أصلا ، إنهم يتحرون فيـه الدقة والتثبت أكثر وأكثر .

وقد ثبت أن زيد بن ثابت ومن معه كانوا أثناء الجمع يقابلون المكتوب من القرآن فى السطور بالمحفوظ فى الصدور ويطلبون شهوداً من الصحابة يشهدون على أن المكتوب قد كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبالغة منهم فى الاحتياط والاستيثاق للقرآن المجيد .

فقول زيد بن ثابت الذى رواه البخارى — وغيره — لا يقدح فى تواتر القرآن ولا فى ترتيبه لأن فقدانه هذه الأيات الثلاث كان فقداناً لكتابتها فقط أى لم يجد فى الجمع البكرى آخر سورة براءة مكتوباً إلا عند أبى خزيمة ، ولم يجد فى الجمع العثمانى آية سورة الأحزاب مكتوبة إلا عند خزيمة بن ثابت الأنصارى الذى جعل رسول الله شهادته تعادل شهادة رجلين ، وهذا لا ينافى أنها كانت محفوظة بالترتيب التوقيفى لعدد كبير من الصحابة يتحقق بهم التواتر .

فقول زيد : « وجدت آخر سورة التوبة » دليل على أن آخرها كان محفوظاً لهم معلوماً عندهم على هذا الترتيب ، وقوله :« فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فألحقناها في سورتها في المصحف » دليل على علمه بها وسماعه هو وغيره لها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإلا لما عرف هل فقد شيئاً أو لا ، وعلى أن وضعها في موطنها بتوقيف وإلا لما عرفوا أن هـذه الآية من سورة الأحزاب .

ومما يدل على أن هذه الآيات كانت في صدور جمع غفير من الصحابة ثلاث روايات ذكرها أبو بكر بن أبي داود ومجموعها يفيد أن الحارث بن خزيمة وعمر بن الخطاب وخزيمة بن ثابت وعثمان بن عفان وأبي بن كعب قالوا : سمعناها من رسول الله ﷺ ووعيناها وحفظناها[1] .

فان قلت : إذا كان الجمع البكرى للقرآن الكريم بمنتهى التحرى والدقة فكيف فقدت آية الأحزاب فيه ؟ .

قلت : لم أجد في خلال إطلاعى أحداً حاول الإجابة عن هذه الشبهة القوية إلا الإمامين الزركشى والألوسى فقد ذكرا أن هـذه الآية كانت

---

(١) انظر الروايات الثلاث في ص ٣٠ ـ ٣١ كتاب المصاحف ، وأفاد الجلال السيوطي في الإتقان جـ ١ ص ٢٧ أن الرواية الثالثة رواها كذلك عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه .

محفوظة فى الصدور لزيد وغيره وأنه يحتمل أنها لم تكتب نسياناً وغفلة اهـ[1] .

وإنى أستبعد هذا الجواب إذ لا يعقل أن تكون محفوظة لهم ثم تترك بدون كتابة فى صحف أبى بكر نسياناً وغفلة من جميعهم ، والظاهر لى أن هذه الآية كتبت فى الصحف البكرية ولما أرادوا نسخ الصحف فى المصاحف العثمانية أحبوا الاستيثاق والاستظهار مرة أخرى بما عندهم من المكتوبات فأحضر كل كاتب ما عنده كما حصل فى جمع أبى بكر ليقابلوه بالصحف البكرية فظهر لهم أن هذه الآية لم توجد مكتوبة إلا عند خزيمة بن ثابت وحده وكانت قبل فى الجمع البكرى مكتوبة عند كثيرين من الصحابة فتحدث زيد بذلك متعجباً .

وبهذا يزول الإشكال وتنحل العقدة ويبطل القول بأن المصاحف العثمانية زيد فيها ما لم يكن فى الصحف البكرية .

وقد استنتجت هذا الجواب من رواية لابن أبى داود رواها بسند صحيح — كما قال الحافظ ابن كثير — عن مصعب بن سعد قال : قام عثمان فخطب الناس فقال : أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون فى القرآن وتقولون : قراءة أبى ، وقراءة عبد الله ، ويقول الرجل : والله ما تقيم قراءتك ، وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شىء لما جاء به ، فكان الرجل يجىء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى تجمع من ذلك شىء

---

(١) جـ ١ ص ٢٣٤ البرهان للزركشى ، وانظر مقدمة تفسير الألوسى جـ ١ ص ٢٣ .

كثير ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك ؟ ، فيقول : نعم ... إلخ .

وروى ابن أبي داود رواية أخرى نحوها عنه[1] .

---

(١) ص ٢٣ - ٢٤ المصاحف وانظر ص ١٤ فضائل القرآن لابن كثير وص ٣٧٩ نكت الانتصار للصيرفي وهو تلخيص لكتاب الانتصار للباقلاني وص ٥١ مقدمة كتاب المباني ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان في علوم القرآن .

الشبهة الثانية

قالوا: إن ابن أبى داود أخرج فى كتابه المصاحف أثرين[1] ورد فى أحدهما أن أبا بكر قال لزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه »، وورد فى ثانيهما أن عمر كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان.

فهذان الأثران يدلان على أن من قاموا بجمع القرآن فى عهد أبى أبكر كانوا يكتفون فى إثبات بعض القرآن برواية واحد من الصحابة وشهادة اثنين فيكون هـذا البعض غير متواتر لأن رواته فى الطبقة الأولى ثلاثة من الصحابة فقط.

ونجيب فنقول:

١ — إن القرآن كله متواتر من أوله إلى آخره ومن ألفه إلى يائه وقد انعقد الإجماع على هذا، وإن الأثرين السابقين لا ينهضان للاحتجاج بهما على عدم تواتر بعض القرآن لأنهما لم يردا فى كتب السنة المعتمدة، وقد نص الأئمة الأجلاء الحفاظ كابن كثير وابن حجر والسيوطى[2] على أن الأثر الأول منقطع وسكتوا عن الأثر الثانى ولم يبينوا حاله قوة وضعفا

---

(١) راجع ص ١٨

(٢) ص ٩ فضائل القرآن و جـ ٩ ص ١٤ فتح البارى و جـ ١ ص ٥٨ الإتقان.

وما دام تواتر القرآن ثابتاً بيقين ومجمعا عليه من المسلمين فلا يقدح فى تواتره كله معارض ظنى فضلا عما لم يصل إلى درجة الظن .

(ب) ولو سلمنا أن هذين الأثرين صحيحان فليس فيهما دلالة على أن بعض القرآن روى بطريق الآحاد وأنه غير متواتر لأن شهادة الشاهدين من الصحابة لم تكن على القرآنيه كما سبق لأن القرآنية لم تكن موضع شك ولا مظنة احتمال أو اختلاف وإنما كانت معلومة للصحابة متواترة وحفاظ القرآن وحملته كثيرون يعدون بالألوف ، وإنما كانت شهادتهما على أن ذلك المكتوب من القرآن قد كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن كثيراً من الصحابة كانوا — كما علمت — يكتبون القرآن لأنفسهم خاصة فى حضور الرسول وعدم حضوره وكان مبدأ أعضاء لجنة الجمع وديدنهم ألا يكتبوا إلا من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ فشهادة الشاهدين كانت على الكتابة لا على القرآنية .

(ج) ولو سلمنا أن هذين الأثرين صحيحان وأنهم كانوا يكتفون فى قبول بعض القرآن بثلاثة من الصحابة فان ذلك لا يقدح فى تواتر القرآن ولا يطعن فيه لأنه لا يعول فى تواتره على الكتابة وإنما المعول عليه فى تواتره هو الرواية والسماع والتلقى طبقة عن طبقة ..... إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشرط أن يوجد فى كل طبقة من طبقات السند من الكثرة ما به يتحق التواتر ، وكل ما جمع فى الصحف البكرية قد روى من طرق لا تحصى وعدد رواته لا يستقصى .

الشبهه الثالثه

قالوا : كيف يقال إن الصحابة وافقوا على جمع القرآن في عهد عثمان وأجمعوا على المصحف العثمانى مع أن عبد الله بن مسعود وهو الصحابى الجليل ذو السابقة والفضل فى الإسلام لم يوافق عليه وأبى أن يدفع مصحفه ليحرق وأمر أهل العراق باحفاء مصاحفهم ، وروى عنه أنه قال : يامعشر المسلمين كيف أعزل عن جمع المصحف ويتولاه رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر ، وفى رواية أنه قال : أعزل عن المصاحف وقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد بن ثابت ذو ذؤا بتين يلعب مع الصبيان[1] .

ونجيب فنقول : إن ما قاله ابن مسعود لا يدل على إنكاره لجمع القرآن وإنما يدل على أسفه وحزنه لعدم إسناد هذه المهمة الجليلة إليه وعلى أنه يرى أحقيته بهذا العمل العظيم من زيد بن ثابت وبالمشاركة فيه لسوابقه وفضائله فى الإسلام ، وقد قال ابن مسعود ما قاله فى وقت غضبه وانفعاله ولما سكت عنه غضبه وهدأت ثورته وسكنت نفسه أدرك أن عثمان ومن معه من كبار الصحابة رضى الله عنهم قد أصابوا فى اختيارهم زيد بن ثابت ومن

(١) أنظر ص ١٤ – ١٧ المصاحف، و ص ٢٠ مقدمة كتاب المبانى ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان فى علوم القرآن .

كانوا معه وتكليفهم بهذا العمل المبارك الطيب وقد روى أن عبد الله بن مسعود ندم على ما قال واستحيا منه فقال[1] . « ما أنا بخيرهم ثم نزل من على المنبر ودفع مصحفه فأحرق وانضم إلى الجماعة .

على أن زيد بن ثابت لم ينفرد بجمع القرآن فى عهدى أبى بكر وعثمان وإنما شاركه وعاونه فى كلا الجمعين عدد من الصحابة كما علمت :

وصفات زيد التى جاءت على لسان أبى بكر فى حديث جمع القرآن من أنه رجل شاب عاقل أمين كاتب الوحى لرسول الله لا تقتضى أفضلية زيد وتميزه على عبد الله بن مسعود ولا على أحد الخلفاء الأربعة وإنما تقتضي أهليته وأحقيته بهذا العمل الكبير .

قال أبو بكر بن الأنبارى : وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشىء نتجه الغضب ولا يعمل به ولا يؤخذ به ولا يشك فى أنه رضى الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه أصحاب من رسول الله ﷺ وبقى على موافقتهم وترك الخلاف لهم[2] .

وقال ابن كثير بعد أن ذكر موافقة جميع الصحابة لعثمان : وإنما روى عن عبد الله بن مسعود شىء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف

(١) ص ٩٥ مقدمة كتاب المبانى ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان فى فى علوم القرآن .
(٢) ص ٤٦ تفسير القرطبى .

الإمام ، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق[١] :

ولعثمان رضى الله تعالى عنه عذره فى عدم ضم ابن مسعود إلى لجنة الجمع لأنه كان منزعجاً للاختلاف فى القراءة حريصاً على رأب الصدع والإسراع بحسم الداء وهو بالمدينة وعبد الله بن مسعود بالكوفة ، وفى انتظار قدومه من الكوفة — لو أرسل عثمان إليه تأخير لو أد الفتنة مع أن فى المدينة من القراء الموفورين من فيهم الكفاية[٢] .

---

(١) ص ١١ فضائل القرآن .

(٢) انظر ص ٦٦ اللالىء الحسان لأستاذنا الدكتور موسى شاهين .

الشبهة الرابعة

قالوا : إن القرآن وقعت فيه زيادة ليست منه بدليل ما ورد من أن عبدالله ابن مسعود كان لا يكتب سورة الفاتحة والمعوذتين فى مصحفه ، وورد أنه كان يحك المعوذتين من مصحفه ويقول ليستا من كتاب الله إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما .

ونجيب فنقول : إن ما روى عن عبدالله بن مسعود ونسب إليه غير صحيح وغير ثابت وهو مدسوس عليه وقد قال بهذا كثير من العلماء والأئمة المحققين ، قال الإمام النووى فى شرح المهذب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جحد منها شيئاً كفر ، وما نقل عن بن مسعود باطل ليس بصحيح اهـ .

وقال بن حزم فى كتاب القدح المعلى تتميم المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر عنه وفيها المعوذتان والفاتحة اهـ .

وقال القاضى الباقلانى : لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه ، إنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكاراً لكتابتها لاجحداً لكونها قرآنا اهـ .

وقال فخر الدين الرازى : نقل فى بعض الكتب القديمة أن بن مسعود

كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن .... والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل ا هـ[1] .

ولو سلمنا أن ما ورد عنه صحيح كما يرى الحافظ بن حجر فى الفتح جـ ٨ ص ٧٤٣ وغيره فتأويله محتمل والجواب عنه سهل ميسر بأن نقول :

إن عدم كتابة ابن مسعود لهذه السور الثلاث أو حكه ومحوه لها بعد كتابتها لا يستلزم إنكاره لقرآنيتها — كما أشار القاضى الباقلانى فى كلامه السابق — لجواز أنه لم يكتبها اعتماداً على شهرتها وحفظ المسلمين لها فسورة الفاتحة أول القرآن ويقرؤها كل مسلم فى صلاته عدة مرات كل يوم ، والمعوذتان آخر القرآن ومشهورتان عند المسلمين ويعوذون بهما أنفسهم وأولادهم على سبيل الرقية ، فانكار ابن مسعود إنكار لكتابتها بعد الشهرة لا إنكار لقرآنيتهما ، ويقصد بقوله عن المعوذتين : « ليستا من كتاب الله » أنهما ليستا مما يخاف عليه وينبغى كتابته وتقيده فى المصحف ، قال ابن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن : وأما إسقاط الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن معاذ الله ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ا هـ[2] .

---

(١) أنظر جـ١ ص ٧٩ الإتقان للسيوطى وص ٧٥ وما بعدها نكت الإنتصار للصيرفى وهو تلخيص لكتاب الانتصار للباقلانى وص ٧٠ اللآلئ الحسان لأستاذنا الدكتور موسى شاهين .

(٢) ص ٤٩ تأويل مشكل القرآن وأنظر ص ١٣ — ٣٥ مقدمة كتاب المبانى ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان فى علوم القرآن .

أى أن ابن مسعود انكر كتابتها لأنه لا يخشى عليها من الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، وكذلك المعوذتان .

ولو فرضنا أن ابن مسعود يقصد نفى قرآنية السور الثلاث فهو مخطىء فى رأيه والرواية الواردة عنه رواية آحادية لا تنهض لمعارضة القطعى الثابت بالتواتر ، وشرط المتواتر أن ترويه طبقة عن طبقة ..... إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث يوجد فى كل طبقة من طبقات السند جم غفير يحيل العقل تواطأهم علي الكذب عادة وليس من شرطه أن لا يخالف فيه مخالف ، قال ابن قتيبة : ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي يعوذ بهما الحسن والحسين فأقام على ظنه ولا نقول : إنه أصاب فى ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار ا هـ[1] .

ثم إن ابن مسعود فعل ما فعل قبل أن يتيقن قرآنية السور الثلاث فلما علم قرآنيتها وتيقن لديه ذلك رجع إلى رأى الجماعة ووافقهم ، ومما يدل على هذا أن القراء الذين أخذوا قراءاتهم بسندهم المتصل إلى ابن مسعود مطبقون على أن السور الثلاث من القرآن الكريم ، قال ابن الصباغ : إنه لم يستقر عنده - أى عند ابن مسعود - القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك ا هـ[2] .

---

(١) ص ٤٣ تأويل مشكل القرآن .

(٢) جـ١ ص ٨٠ الاتقان .

الشبهة الخامسة

قالوا : فى القرآن زيادة ليست منه فآية : «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» من كلام عمر بن الخطاب ، وآية : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » من كلام أبى بكر الصديق[1] .

ونجيب فنقول : إن هذه الشبهة يكذبها النقل والعقل والواقع فان آية « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» ليست من قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وإنما هى من موافقاته .

وقد كان محدثا ملهما ذا فراسة وأحيانا كان يرى الرأى فينزل به القرآن وقد تمنى – كما ورد فى سبب نزول الآية – أن يتخذ المسلمون من مقام ابراهيم مصلى وأخبر بذلك رسول الله فنزلت الآية تأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، وشتان ما بين التمنى والأمر ، فكون القرآن وافق عمر فى شىء كان له فيه رأى واجتهاد لا يدل على أن المنزل من كلام عمر رضى الله تعالى عنه .

وكثيرا ما يقع مثل هذا لبعض من الناس فى حياتنا فنرى إنسانا يقول قولا أو يرى رأيا ثم يقع فيما بعد ما قاله أو ارتآه ، وليس معنى هذا أنه يعلم الغيب وإنما معناه أن الله ألهمه فنطق بما يوافق ما سيقع فى المستقبل .

---

(١) الآية الأولى من سورة البقرة ١٢٥ ، والثانية من سورة آل عمران ١٤٤ .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان موجوداً بين صحابته وأصحابه الكرام والقرآن يتنزل عليه فلو كانت هذه الآية من كلام عمر وليست بقرآن منزل لما كتبها الصحابة بين يدى رسول الله ولبين رسول الله ذلك ونقل عنه أو عن عمر نفسه فى حياة الرسول أو بعد مماته وقد شارك فى جمع القرآن فى عهد أبى بكر وكانت له فى ذلك اليد الطولى والقدح المعلى والفضل الأوفى ، ولمحاماة عثمان أثناء جمعه القرآن بعد موت عمر رضى الله تعالى عنهما .

وأما آية «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» فهى قرآن منزل وليست من كلام أبى بكر كما يزعم الزاعمون لأن هذه الآية نزلت فى غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة حين أصيب المسلمون بسبب مخالفة الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصيب رسول الله فى جسمه وأشيع أنه قد قتل فتفرقوا واختلت صفوفهم وتشتت جمعهم حتى قال بعضهم ينبغى أن أن نأخذ لأنفسنا أمانا من قريش ، وألقى بعضهم السلاح وجلس وامتنع عن القتال ، وفر بعضهم من ميدان المعركة ، وساءت حالهم وهاجوا وماجوا ، ولم يستقم أمرهم فى القتال إلا بعد أن رأى بعضهم رسول الله حيا بينهم وعلموا بذلك فسكنت نفوسهم ونزلت هذه الآية تبين خطأهم وتعرفهم أن النبوة لا تستلزم الخلود وأن رسول الله سيموت حتما كغيره من الأنبياء وسيجرى عليه الموت كما جرى عليهم ، وقد حفظها جمع غفير من الصحابة الكرام ووعوها فى صدورهم .

والظاهر أن من زعم أنها من كلام أبى بكر تعلق بقراءة أبى بكر لها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنكر عمر — بعد أن ملكته سورة الغضب وغمرة الحزن ولوعة الحسرة والأسى — موت رسول الله وتوعد من

يقول بموته ، وقد غفل عمر عن هذه الآية كما غفل بعض الصحابة فى غزوة أحد عن نظيرها النازل قبلها كقوله تعالى: إنك ميت وإنهم ميتون[1] ، فلما خطب أبو بكر فى المسلمين وقال[2]: من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا آية : وما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل إلخ تذكر عمر أن موت رسول الله حق بعد أن كان غافلا عن هذه الآية غير منتبه إليها بسبب شدة حزنه وأسفه على موت رسول الله مع أنه كان يحفظها كالكثرة الكاثرة من الصحابة .

فنطق أبى بكر لها أمام الجموع الغفيرة الحافظة لها من الصحابة بعد نزولها بنحو ثمانى سنين لا يفهم منه أنها من كلامه رضى الله عنه .

وكثيراً ما يغفل الواحد منا عن شيء يعرفه ويتذكره إذا ما ذكر به .

---

(١) سورة الزمر ٣٠ .

(٢) انظرج ٦ص ١٧ كتاب المغازى باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته : صحيح البخارى .

الشبهة السادسة

فى سورة البينة زيادة لم تذكر فى القرآن الحالى ، فقد روى الترمذى — وصححه ـ وأحمد بسندهما عن أبى بن كعب أنه قال : إن رسول الله قال لى : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن ، قال فقرأ : «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب » ، قال : فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانياً ، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية السمحة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلن يكفره .... إلخ[1] .

فعدم وجود هذه الزيادة فى القرآن الموجود بأيدى المسلمين دليل على ضياعها ونقصان القرآن .

ونجيب فنقول : إن بعض العلماء المحققين قضى على هذه الرواية بالبطلان ولعل مما يدل على بطلانها عنده :

١ — إنها تعارض المتواتر ، ومعارض المتواتر ساقط لا يعتد به .

---

(١) انظر جـ ٥ ص ٣٧٠ كتاب المناقب باب فضل أبى بن كعب سنن الترمذى ، و ص ٩٠ مقدمة كتاب المبانى ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان فى علوم القرآن .

٢ — وإن ماجاء فيها زائداً على ما فى المصاحف ليس فيه مسحة من سحر القرآن وإعجازه وجلاله وإشراقه ونوره وبهائه ورونقه وسنائه .

٣ — وأن النص الوارد فيها « لوأن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانياً ... ويتوب الله على من تاب » أخرجه الشيخان والترمذى وأحمد وغيرهم بسندهم عن ابن عباس وأنس وأبى موسى الأشعرى وعبدالله بن الزبير وأبى واقد الليثى وغيرهم(١) ، فالنص المذكور حديث نبوى أو قدسى على اختلاف الروايات المصرحة بنسبة النص إلى النبي تارة وإلى الله تارة أخرى .

٤ — وأن قراءات القراء المشهورين المتصلة إلى أبى بن كعب موافقة لما فى المصحف العثمانى وليس فى قراءاتهم ما جاء فى الرواية المذكورة ، وقد شارك أبى بن كعب فى كتابة الوحى لرسول الله كما شارك فى الجمع البكرى ثم العثمانى للقرآن فلو كان المذكور قرآناً ثابتاً لما تركه وأغفله ، قال أبو بكر ابن الأنبارى بعد أن ذكر ما روى أن عكرمة قرأ على عاصم سورة (لم يكن) ثلاثين آية والنص المذكور فيها قال :

هـذا باطل عند أهل العلم لأن قراءتى ابن كثير وأبى عمرو متصلتان بأبى بن كعب لا يقرأ فيهما هـذا المذكور فى (لم يكن) مما هو معروف فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه من كلام الرسول عليه السلام

---

(١) انظر جـ ٨ ص ١١٥ كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال .. إلخ صحيح البخارى ، وجـ ٣ ص ٨٧ — ٨٨ كتاب الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا : صحيح مسلم بشرح النووى ، وجـ ٣ ص ٣٨٩ كتاب الزهد باب ما جاء لو كان لابن آدم واديان من مال ... إلخ : سنن الترمذى وصححه ، وجـ ٥ ص ٢١٧ المسند للامام أحمد .

لا يحكيه عن رب العالمين فى القرآن ، وما رواه اثنان معهما الإجماع أثبت مما يحكيه واحد مخالف مذهب الجماعة ا هـ[1] .

وقال أحد العلماء المغاربة : والذى يؤكد ما قلناه اتصال قراءة أبى جعفر بابن عباس وأبى هريرة وابن مسعود وغيرهم وهم قرأوا على أبى بن كعب ، واتصال قراءة ابن كثير بمجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبى ، واتصال قراءة أبى عمرو بمجاهد وسعيد بن جبير وهما قرآ على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبى ، فهؤلاء الأئمة وأعلام الدين الذين رووا عنهم وحفظوا عليهم نبره ومده وتشديده ، فلو كان من قراءة أبى ذلك لقرأه عليهم ولرووا عنه وحفظوا عليه اطول تلك الألفاظ[2] .

٥ — أن أمر الله لرسوله بقراءة سورة (لم يكن) على أبى بن كعب ورد فى الصحيحين[3] بدون الزياده المذكورة فى الرواية السابقة ومعلوم أن ما جاء فى الصحيحين يقدم على ما جاء فى غيرهما لا سيما وقد اضطرب النقل فى الرواية السابقة فمن قائل : إنه آية من سورة لم يكن ، ومن قائل : إنه آية من سورة أخرى تشبه سورة براءة ، ومن قائل : واديا من مال ، ومن

---

(١) ص ٧٢٢٩ تفسير القرطبى و ص ٧٤ مقدمة كتاب المبانى ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان فى علوم القرآن .

(٢) ص٩٢ مقدمة كتاب المبانى ضمن مجلد بعنوان: مقدمتان فى علوم القرآن.

(٣) انظر جـ٦ص٢١٧ كتاب التفسير سورة (لم يكن) : صحيح البخارى وجـ٥ ص ٣٣٠ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبى بن كعب وجماعة من الأنصار : صحيح مسلم بشرح النووى وجـ ٥ ص ٣٣٠ كتاب المناقب : سنن الترمذى وصححه وهو مروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

قائل : واديا من ذهب ، ومن قائل : لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ومن قائل : لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، وهذا الوضع محال فى القرآن لأنه لا تحل قراءته بالمعنى ولا يثبت إلا بالتواتر فلو كان ما جاء في الرواية السابقة قرآنا متواتراً لما وجد هذا الاضطراب والاختلاف .

٦ — ولو فرضنا أو سلمنا أن الرواية المذكورة صحيحة كما قال الترمذى فهى رواية آحادية لا يثبت بها قرآن ولا تعارض القطعى الثابت بالتواتر ، ولعل الزيادة الآحادية جاءت على سبيل التفسير والبيان فقد كان بعض الصحابة لا يكتفى بكتابة المتواتر فى مصحفه الخاص به كما مر . أو لعله كان قرآنا منزلا ثم نسخ .

الشبهة السابعة

نقص من القرآن ما كان يكتبه بعض الصحابة في مصحفه ومما يدل على هذا ما روى عن أبي بن كعب أنه كتب في مصحفه سورتي الخلع والحفد بين سورتي العصر والهمزة فكان في مصحفه: «اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخاف عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق»[1].

فهذا دليل على أن القرآن الحالي ناقص إذ ليست فيه هاتان السورتان.

ونجيب فنقول: إن النص المذكور ليس بقرآن وكتابة أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه له في مصحفه المنسوب إليه لا تقتضي قرآنيته فقد كان بعض الصحابة — ومنهم أبي بن كعب — كما علمنا من قبل لا يقصرون مصاحفهم الخاصة بهم على القرآن المتواتر وإنما كانوا يكتبون مع المتواتر

---

(١) أنظر جـ ١ ص ٦٤ الإتقان للسيوطي وجـ ١ ص ٢٥ روح المعاني للألوسي وجـ١ ص ٢٥٧ مناهل العرفان للزرقاني.

الآحادى والمنسوخ وبعض التفسيرات والمعانى والمأثورات والأدعية ، فهذا النص دعاء وقد أخذ به بعض الفقهاء كالحنفية والمالكية فى دعاء القنوت فى الصلاة ، ووجوده فى مصحف أبى لا يعد دليلا على أنه قرآن كما أن القنوت به فى الصلاة لا يدل على أنه قرآن .

وإن هذا الدعاء لم تتفق كتب الفقه وكتب السنة التى ذكرته على نصه وإنما اختلفت رواياته وتغايرت بعض ألفاظه وهو وضع لا يتأتى فى القرآن لأن القرآن لا تحل روايته بالمعنى .

وإن من يمعن النظر من ذوى الفهم والثقافة والذوق والمعرفة فى هذا الدعاء لا يجد فيه ما يجده فى القرآن المتواتر القطعى الثبوت من سحر وروعة وجمال وجلال وإعجاز وإشراق ونورانية مما يدل على عدم قرآنيته .

ثم إن أبى بن كعب كان من كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله فضائله ومحامده فى الإسلام وقد شارك فى جمع القرآن فى عهدى أبى بكر وعثمان وكان يملى على الكتبة فلو كان هذا النص المذكور قرآناً متواتراً لأملاه أبى بن كعب على لجنة الجمع ولما تركه ، فتركه له دليل على أنه ليس بقرآن .

ولو سلمنا أن أبى بن كعب كتب هذا النص فى مصحفه على أنه قرآن فالرواية التى تحمل هذا عنه رواية آحادية ظنية فلا تعارض المتواتر القطعى الثبوت ولا يمكن إثبات قرآنية هذا النص بها لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر .

وإن القراء المشهورين كأبى جعفر وأبى عمرو ونافع وابن كثير وحمزة والكسائى الآخذين القرآن بقراءاته بطرقهم وأسانيدهم المتصلة إلى أبى بن كعب يقرءون القرآن بما يوافق المصحف العثمانى ولم يرد عن أحدهم أن فى القرآن الكريم سورة تسمى سورة الخلع أو سورة الحفد .

الشبهة الثامنة

سقط من القرآن الحالي أثناء جمعه آية نطقت بها عائشة رضي الله عنها وهي قولها : « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن » .

ويروي بعضهم أنها كانت في صحيفة أو جليد وأن الداجن دخل فأكلها ولم يتنبه الصحابة لذلك لاشتغالهم بوفاة رسول الله وتجهيزه للدفن[1] .

فعدم وجود الآية الدالة على الخمس رضعات في القرآن الحالي دليل على ضياعها منه .

ونجيب فنقول : إن ما قالته عائشة رواه مسلم وغيره من أصحاب الكتب الحديثية بأسانيدهم عنها[2] ، ولا يثبت بهذه الرواية قرآن لأنها رواية آحادية والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، ولأنها لا تقوي على معارضة المتواتر القطعي

---

(١) انظر ص ٨٨ مقدمة كتاب المباني ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان في علوم القرآن . و ص ٩٧ نكت الانتصار للصيرفي .

(٢) جـ ٣ ص ٦٣١ كتاب الرضاع : صحيح مسلم بشرح النووي ، وجـ ٢ ص ٤٠٩ كتاب الرضاع باب ماجاء لا تحرم المصة ولا المصتان : سنن الترمذي وصححه ، وجـ ٢ ص ٢٢٤ كتاب النكاح باب هل يحرم مادون خمس رضعات: سنن أبي داود .

الثبوت وهو القرآن الموجود بأيدى المسلمين ، ولأن الروايات مختلفة فى تحديد العدد المروى عن عائشة المحرم للنكاح مما يدل على أن النص المروى عنها خبر لا قرآن لأن القرآن لا تحل روايته بالمعنى .

قال الحافظ ابن حجر(١) فى فتح البارى أثناء ذكره ما يؤيد مذهب القائلين بأن قليل الرضاع وكثيره فى التحريم سواء : وأيضاً فقول عائشة : « عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات ، فمات النبى ﷺ وهن مما يقرأ » لا ينهض للاحتجاج على الأصح من قول الأصوليين لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والراوى روى هذا على أنه قرآن لا خبر فلم يثبت كونه قرآناً ، ولا ذكر الراوى أنه خبر ليقبل قوله فيه والله أعلم ، ومما يدل على أنه ليس قرآناً وأنه كان تشريعاً ثابتاً بالسنة ثم نسخ بالسنة اختلاف الرواية عنها فى القدر المحرم ففى رواية الموطأ عنها عشر رضعات ، وعنها أيضاً سبع رضعات أخرجه ابن أبى خيثمة باسناد صحيح عنها ، وعبد الرازق أيضاً ، وجاء عنها أيضاً خمس رضعات ، وهى ما يدل عليها رواية مسلم التى معنا ، فاختلاف الرواية عنها يدل على أنه كان باجتهاد منها استندت فيه على ما ظهر لها من السنة ولو كان قرآنا لما نقل عنها كل هذا الاختلاف .

وقال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم : واعترض أصحاب مالك على الشافعية — لأن الشافعية يرون أن العدد المحرم هو الخمس رضعات — بأن حديث عائشة هذا لا يحتج به عندكم وعند محققى الأصوليين لأن القرآن لا يثبت بخبر الواحد ، وإذا لم يثبت قرآناً لم يثبت بخبر الواحد عن

(١) جـ ٩ ص ١٤٧ فتح البارى .

النبي ﷺ لأن خبر الواحد إذا توجه إليه قادح يوقف عن العمل به وهـذا إذا لم يجيء إلا بآحاد مع أن العادة مجيئه متواتراً توجب ريبة والله أعلم اه[1].

فترى أن الأئمة الثقات متفقون على أن ما نقل عن عائشة ليس بقرآن وإنما هو خبر صحيح مروى عنها .

وقولها « كان فيما أنزل من القرآن » أى فيما أنزل من شرحه وبيانه وإيضاحه لأن النص المروى عنها سنة والسنة شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »[2] ، وكان جبريل عليه السلام ينزل بها كما ينزل بالقرآن فالحديث المروى عن عائشة من باب نسخ السنة بالسنة كما قال الحافظ ابن حجر ، وقولها : « وهن فيما يقرأ من القرآن » أى فيما يعلم من أحكامه الشرعية .

ويجوز أن نحمل المنقول عن عائشة على أنه كان قرآنا منزلا ثم نسخ لفظه وبقى حكمه كآية الرجم ، ومعلوم أن منسوخ التلاوة لا يعد قرآنا ولا يأخذ حكمه، ويكون مراد عائشة من قولها « فتوفى رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن » : الإعلام بأن هـذا النسخ تأخر إلى قبيل وفاة رسول الله وأن من علم بالنسخ من الصحابة ترك القراءة بذلك القرآن المنسوخ ، ومن لم يعلم منهم بالنسخ ظل يقرأ به إلى أن علم بنسخه وتأكد لديه ذلك فترك القراءة به ، قال الإمام النووى : ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى أنه ﷺ توفى وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلوا لكونه

---

(١) جـ ٣ ص ٦٣٢ كتاب الرضاع : صحيح مسلم بشرح النووى .
(٢) سورة النحل ٤٤ .

لم يبلغه النسخ لقرب عهده ، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى اهـ[1] .

وأما الرواية القائلة بأن الداجن أكلها فهى رواية مردودة ولا يلتفت إليها ويضرب بها عرض الحائط لأنها لم ترد فى كتب السنة المعتمدة ، وهى موضوعة وليس فيها ذكر لنوع الداجن الآكل هل هو حمام أو شاة أو غيرها ، ولأن القرآن جمع بغاية التحرى والدقة ومنتهى التثبت والإحكام وكان محفوظاً فى صدور عشرات الألوف من الصحابة مكتوباً عند الكثير منهم فلو فرضنا أن الداجن دخل فأكلها فكيف محيت من جميع صدورهم ومن كل مصاحفهم الخاصة بهم ؟ إن هذا إلا اختلاق .

(١) جـ ٣ ص ٦٣١ : صحيح مسلم بشرح النووى .

الشبهة التاسعة

القرآن الحالي تزيد آياته عن ستة آلاف ومئتي آية ، وسوره مائة وأربع عشرة سورة ، أما القرآن الحقيقي الذي نزل به جبريل من السماء فكان سبع عشرة ألف آية وسوره أكثر من سور القرآن الحالي ، وسبب هذا النقص أن أبا بكر وعثمان حرفا القرآن أثناء جمعهما له وأسقطا كثيراً من آياته وسوره وبخاصة الآيات والسور المتعلقة بآل البيت ، فسورة الأحزاب والبينة كانتا طويلتين أسقطا منها الآيات المتصلة بفضائل آل البيت ، كما أسقطا سورة الولاية بأكملها وغيرها من السور القرآنية(1) .

ونجيب فنقول : إن هـذه من دعاوى بعض الشيعة الغالين والملاحدة الكافرين وليس عليها دليل ولا أثارة من علم وإنما هي خرافة من خرافاتهم وأسطورة من أساطيرهم فلا يعبأ بها ولا يلتفت إليها :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها   بينات أصحابها أدعياء

وقد تبرأ علماء الشيعة العقلاء من مثل هـذه الترهات والخرافات قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي — وهو من أكابر علمائهم — في تفسيره مجمع البيان : أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان منه فروى

---

(1) انظر جـ 1 ص 23 — 24 روح المعاني للآلوسي و ص 52 — 53 مختصر التحفة الأثنى عشرية .

عن قوم من أصحابنا وقوم من حشوية العامة والصحيح خلافه[1] ..

وكيف يحرف أبو بكر وعثمان القرآن ويسقطان منه نحو ثلثيه كما يزعمون أو سورة ، أو آية أو كلمة وكل منهما المسئول الأول عن الدين والحاكم للمسلمين والقرآن محفوظ في صدورهم منقوش في قلوبهم ، وإذا كان كل منهما فعل ذلك بالقرآن فلم سكت الصحابة وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ولا يصدهم عن إحقاق الحق حائل ولا يخافون لومة لائم ، ولم سكت على بن أبي طالب - الذي يفرطون في حبه ويتعلقون به ويتشيعون له - بعد أن تولى الخلافة قرابة خمس سنوات وصار أمير المؤمنين والحاكم الشرعي للمسلمين فلم يقوم المصاحف ويرد إليها ما نقصه منها أبو بكر وعثمان كما يزعم الشيعة الضالون والملاحدة الطاغون الظالمون ، وكانت المصاحف العثمانية تتلى وتتداول في الأمصار الإسلامية ؟؟؟

وإذا كان القرآن الحالي ناقصاً والقرآن الحقيقي الكامل النازل من السماء يعرفه الشيعة ومن حطب في حبلهم فما الذي يمنعهم من إخراجه وإظهاره للمسلمين ووقفهم عليه ؟

إن القول بتحريف القرآن ونقصه وضياع آيات وسور منه كما يزعم الزاعمون ويفتري المفترون منقوض بثناء الله عليه ووعده بحفظه بمثل قوله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »[2] ، وقوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[3] ، وقوله . « وإنه لكتاب عزيز

(١) انظر جـ ١ ص ١٨ - ١٩ مجمع البيان للطبرسي .
(٢) سورة هود عليه السلام ١ .
(٣) سورة الحجر ٩ .

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »[1] .

ومنقوض بإحكام آياته وسوره وتناسبها وتناسقها وتعانقها وتآخيها وتلاحمها مع تفرق نزوله واستغراقه مدة طويلة ، بل تحس بأنه كلام واحد قيل في وقت واحد وأن آخره مرتبط بأوله فهو كالسبيكة الذهبية المتناسقة الحبات المتصلة الحلقات الملتحمة التي لا يعرف أين طرفاها .

ومنقوض بالنصوص الثابتة الصحيحة الواردة عن على نفسه الذى يتشيعون له ويزعمون حبه وفيها ثناء عاطر على أبى بكر وعثمان لجمعهما القرآن على أكمل وجه وبأحكم وسيلة .

وقد عد الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه — معترك الأقران فى إعجاز القرآن — حفظ القرآن عن الزيادة والنقصان وحراسته عن التبديل والتغيير وعدم التجاسر عليه بشىء من ذلك على تطاول الأزمان الوجه الثانى من وجوه إعجازه ، واعتبره فرقاً من الفروق التى بينه وبين سائر الكتب السماوية[2] .

وما قاله هو عين الحق والصواب .

ولو وقع للقرآن الحكيم شىء مما يدعيه هؤلاء الشيعه المغالون ومن سار فى ركابهم لنقله المؤرخون الأثبات ولما أغفلوه ولكن لم يقع شىء مما يزعمونه ؛ والنصوص الشرعية وأقوال العلماء المحققين والأئمة الثقات المعتبرين المدققين

---

(١) سورة فصلت ٤١ - ٤٢ .

(٢) انظر ص ٢٧ معترك الأقران للسيوطى .

والعقل والواقع يكذبهم وصدق الله العظيم في قوله : «إنما يفترى الكذبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون »[1] .

« والقوم من أكذب الناس فى النقليات ، وأجهل الناس فى العقليات ، ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف ، وقد أدخل منهم على الدين من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد ، والنصيرية والإسماعلية والباطنية من بابهم دخلوا ، والكفار والمرتدة بطريقتهم وصلوا »[2] .

---

(١) سورة النحل ١٠٥ .

(٢) ص ١٩ المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي .

الشبهة العاشرة

نقلت عن بعض الصحابة قراءات فى بعضها زيادة وفى بعضها نقص عما هو موجود فى المصحف ، فمن ذلك :

١ — ما روى عن عمرو بن دينار أنه قال : سمعت ابن الزبير يقرأ : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم »[١] .

٢ — وما روى عن ابن عباس وأبى بن كعب أنهما قرءا : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها »[٢] .

٣ — وما حكاه أبو حيان (وغيره) فى تفسيره أن أبيا وابن عباس وابن مسعود وعلياً قرءوا : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً »[٣] .

---

(١) ص ١٠٢ مقدمة كتاب المبانى ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان فى علوم القرآن ، والآية المذكورة من سورة آل عمران ١٠٤ .

(٢) جـ ٣ ص١٤٤ تفسير ابن كثير وجـ ٦ ص٢٣٣ البحر المحيط لأبى حيان و ص ١٠٢ مقدمة كتاب المبانى ، والآية المذكورة من سورة طه ١٥ .

(٣) جـ ٦ ص ١٥٤ البحر المحيط والآية المذكورة من سورة الكهف ٧٩ .

٤ — وما رواه الشيخان والترمذى وغيرهم بسندهم عن علقمة عن ابن مسعود وأبى الدرداء أنهما قرءا : «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى »[١] .

ونجيب فنقول : إن معظم الروايات المبثوثة فى كتب التفسير وغيره وفيها قراءات مخالفة لرسم كل المصاحف العثمانية بالزيادة أو بالنقص باطل عاطل عن الحق ، والقراءات التى توجد فيها قراءات شاذة .

وما جاء فيها من روايات صحاح فهى روايات آحادية لا تثبت قرآنا ولا تعارض المتواتر القطعى الثبوت المجمع عليه من المسلمين ، وذكرت القراءات على سبيل التفسير والبيان والتوضيح ، أو لعلها كانت قرآنا ثم نسخ ، قال المحقق ابن الجزرى : كانوا - يعنى الصحابة - يدخلون التفسير فى القراءة إيضاحا وبيانا لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى ﷺ قرآنا فهم آمنون من الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه معه اهـ[٢] .

والقــراء العشرة المشهورون المعتبرون لدى المسلمين تتصل قراءاتهم بالأسانيد الصحيحة بل المتواترة إلى الصحابة الكرام وليس فيها تلك القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصاحف العثمانية .

---

(١) جـ ٦ ص ٢١٠ - ٢١١ كتاب التفسير سورة والليل إذا يغشى : صحيح البخارى ، و جـ ٢ ص ٤٧٥ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما يتعلق بالقراءات : صحيح مسلم بشرح النووى ، و جـ ٤ ص ٢٦١ - ٢٦٢ أبواب القراءات : سنن الترمذى وصححه .

(٢) جـ ١ ص ٣٢ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى .

ويعجبني ما قاله القاضي الباقلاني وهو : جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى وأمر بإثباته ، ولم ينسخه ولا رفع تلاوته ، هو هذا الذي بين اللوحين ، الذي حواه مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه ، لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ، نقله الخلف عن السلف ، وهو معجزة الرسول عليه السلام دال على نبوته ، فمن جحد هذا فقد جحد الضروريات ، وهو بمنزلة جحد وجود عثمان وخلافته وقتله ، وذلك غاية الجهل ا هـ[1] .

إلى غير ذلك من الشبهات والدعاوى التي يقولها أعداء الإسلام ويوردونها على جمع القرآن الكريم ولا تخرج كلها عن محور الشبهات السابقة ، ولم ينل أعداء الإسلام بهذه الشبهات المصوغة والسهام الرائشة المصنوعة من القرآن الحكيم ولن ينالوا ، وسيظل القرآن المجيد بناء شامخا أماس لا يعلق به غبار ، محفوظا في صدور المسلمين الأبرار منقوشاً في قلوبهم وقراطيسهم ، مصوناً بفضل الله وعونه ، محفوظاً بحفظه ، باقيا أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

---

(١) ص ٥٩ - ٦٢ نكت الانتصار للصيرفي وهو تلخيص لكتاب الانتصار للباقلاني .

المبحث الثالث
ترتيب الآيات والسور

يجدر بنا قبل بيان كون ترتيب الآيات القرآنية توقيفيا أو غير توقيفي أن نتناول بالبيان : معنى الآية لغة وإصطلاحاً ، والسبيل إلى معرفة الآيات القرآنية ، وعدد آيات القرآن الكريم وسبب اختلاف العلماء في عددها ، والفوائد المترتبة على معرفة آيات القرآن الحكيم .

وسننهج هذا النهج إن شاء الله بالنسبة للشق الثاني من هذا المبحث وهو السور .

سنبين - قبل عرض مذاهب العلماء فى ترتيبها - : معنى السورة لغة واصطلاحاً ، وأقسام السور القرآنية باعتبار طولها وقصرها ، والأسباب والحكم المستفادة من مجىء القرآن العظيم مقسما إلى سور ، نسأل الله وهو خير مسئول وأعظم مأمول العون والتوفيق والهداية إلى سواء السبيل .

أولا : الآيات

معنى الآية لغة واصطلاحا

الآيات جمع ، مفرده : آية ، وتطلق الآية في اللغة على معان متنوعة هي :

١ ـ المعجزة ، ومنه قوله تعالى « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله »(١) أي بمعجزة من المعجزات .

٢ ـ العلامة الظاهرة ، ومنه قوله تعالى : « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم »(٢) أي علامة ملكه .

٣ ـ العبرة والعظة ، ومنه قوله تعالى : « إن في ذلك لآية »(٣) أي عبرة وعظة لمن يعتبر ويتعظ .

٤ ـ الأمر العجيب، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية »(٤) أي كل منهما صار أمراً عجيباً بالآخر ولذا أفرد الله لفظ « آية » ولم يثنها .

٥ ـ الجماعة ، ومنه قول العرب : « خرج القوم بآيتهم » أي خرجوا بجماعتهم ولم يبق أحد .

---

(١) سورة الرعد ٣٨ :

(٢) سورة البقرة ٢٤٨ .

(٣) سورة الشعراء ٨ .

(٤) سورة المؤمنون ٥٠ .

٦ - الدليل ، ومنه قوله تعالى : « ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم »[١] أي من أدلة وجوده سبحانه وقدرته وحكمته .

ويطلق على البناء العالي آية ومنه قوله تعالى : أتبنون بكل ريع آية تعبثون ....[٢] .

هذه إطلاقات لغوية للفظ (الآية) ويتضح للمتأمل فيها أن بعض هذه الإطلاقات يستلزم بعضها الآخر .

كما يتضح له أن المناسبة والصلة بين هذه المعاني اللغوية وبين الآية القرآنية ظاهرة بينة : فهي من القرآن المعجز ، وهي علامة على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيها عبرة وعظة لمن أراد أن يذكر ، وهي من الأمور العجيبة لسمو أسلوبها ومعناها وإحكام مبناها ومرماها ، وفيها معنى الجماعة لأنها تتكون من عدة حروف ، وفيها معنى الدليل إذ أنها حجة وبرهان على ما تضمنته من هداية وعلم نافع ناجع ، وفيها معنى البناء العالي لتركبها من كلمات ولو تقديراً وتركب كل كلمة من أحرف وعلو أسلوبها وبلاغتها وسمو نظمها وفصاحتها وذروة إعجازها .

واختلف اللغويون في اشتقاقها فقيل إنها مشتقة من « أي » فإنها هي

---

(١) سورة الروم ٢٢ .
(٢) سورة الشعراء ١٢٨ .

التى تبين أيا من أى ، وقيل مشتقة من التأبى وهو التثبت والإقامة على الشىء وهو الصحيح ، وقيل مشتقة من قولهم : أوى إليه .

واختلفوا فى وزنها وأصلها : فيرى سيبويه والخليل أن وزنها ـ فعلة ـ مثل شجرة ، وأصلها أيية قلبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وحق مثلها أن يكون لامه معتلا دون عينه مثل : حياة ، لكن صحح لامه على خلاف القياس لوقوع الياء قبله مثل : غاية وراية .

ويرى الفراء أن وزنها ـ فعلة ـ بسكون العين مثل تمرة غير أنها قلبت ألفاً كراهة التضعيف كطائى فى طىء .

ويرى الكسائى أن وزنها ـ فاعلة ـ وأصلها : آيية مثل آمنة ، وكان القياس أن تدغم الياء كدابة إلا أنه ترك ذلك تخفيفاً فحذفوا العين فصار آية وهذا ضعيف ومرجوح لقولهم فى تصغيرها أيية ، ولو كانت على وزن فاعلة لقيل : أوية[1] :

وقيل فى وزنها وأصلها غير هذا .

وأما الحد الاصطلاحى للاية القرآنية فهو : طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها مندرجة فى سورة .

فقولنا « طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها » يندرج تحته السورة والآية المكونة من كلمتين فأكثر والآية التى هى كلمة واحدة لأن

---

(١) أنظر ص ٣٣ ـ ٣٤ المفردات للراغب ، و حـ ١ ص ٢٦٦ البرهان للزركشى .

الطائفة من الشيء هي القطعة منه أيا كانت ، وقولنا « مندرجة في سورة » قيد في التعريف أخرج السورة وصار التعريف جامعاً مانعاً منطبقاً على الآية أيا كان حجمها .

ويجوز أن نقول في تعريف الآية إنها : قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو ابتداء وانتهاء ، مندرج في سورة .

وليس المراد بانقطاع الآية عما قبلها وما بعدها أن لا صلة ولا مناسبة بينها وبين ما قبلها وما بعدها ، كلا لأن الآيات القرآنية متشابكة متعانقة يأخذ بعضها بحجز بعض والمناسبات بينها قائمة ظاهرة والقرآن كله كالحلقة الواحدة الملتحمة ، وإنما المراد بانقطاع الآية استقلالها في العد فلا تكون جزءاً مما قبلها أو بعدها .

وآخر كلمة في الآية تسمى فاصلة .

والمتأمل في القرآن الكريم يرى آياته مختلفة في الطول والقصر ، ويرى معظم الآيات الطوال في السور الطوال ، ومعظم الايات القصار في السور القصار ، وأطول آية في القرآن آية المداينة التي في أواخر سورة البقرة (٢٨٢) ، وأقصر آية فيه ما كان كلمة واحدة مثل : والضحى ، والعصر ، وفواتح السور المبدوءة بحروف مقطعة عند من عدها آية .

طريق معرفة الآيات

لا طريق لمعرفة الآى إلا النقل الصحيح عن الصحابة الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا منه رءوس آياته ، قال جار الله الزمخشرى فى كشافه فى تفسير أول سورة البقرة : الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ا هـ[1] .

ومما يؤيد أن تقسيم القرآن إلى آيات وتحديد الآيات أمر توقيفى من الله تعالى لا مجال فيه للاجتهاد أو القياس :

١ - ورود أحاديث معتمدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنطق بعدد آيات سور معينة كسورة الفاتحة بأنها سبع آيات[2]، وسورة الملك بأنها ثلاثون آية[3] ، وهكذا :

---

(١) جـ ١ ص ١٠٥ الكشاف .

(٢) أنظر جـ ٦ ص ٢٠ كتاب التفسير باب ما جاء فى فاتحة الكتاب و ص ١٠٢ باب تفسير سورة الحجر و ص ٢٣١ كتاب فضائل القرآن باب فاتحة الكتاب صحيح البخارى وهو مروى عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه . وأخرجه غير البخارى من أهل الحديث .

(٣) أنظر جـ ٤ ص ٢٣٨ أبواب فضائل القرآن باب ماجاء فى سورة الملك : سنن الترمذى وحسنه ، و جـ ٢ ص ٥٧ كتاب الصلاة باب فى عدد الاى : سنن أبى داود وهو مروى عن أبى هريرة .

٢ — أن العلماء الكوفيين عدوا (الم) آية ولم يعدوا نظيرها وهو (الر) آية ، وعدوا (المص) آية ولم يعدوا نظيرها وهو (المر) آية ، وعدوا (يس) آية ولم يعدوا نظيرها وهو (طس) آية ، وعدوا (حم عسق) آيتين ولم يعدوا نظيرها وهو (كهيعص) آيتين ، فلو كان تحديد الآيات راجعاً إلى الاجتهاد والقياس لكان حكم المثلين فيما ذكر واحداً . فوجود هـذا الإختلاف مع التماثل دليل على أن ذلك أمر توقيفي لا دخل لأحد من الخلق فيه .

٣ — أن بعض الآيات القرآنية يفتتح بألفاظ لها صلة قوية لفظية ومعنوية بما قبلها في نهاية الآية السابقة كأن يكون اللفظ صفة لما قبله أو حالا مما قبله أو بدلا أو خبراً أو معطوفاً أو جواباً لشرط أو تفصيلا لكلام سابق أو متعلقاً بما قبله تعلق الظرف بالمظروف .... إلى آخر ألوان التعلق والارتباط التي يراها القارىء للقرآن ، فلو كان الأمر راجعاً إلى الاجتهاد والقياس لما وجد هذا الوضع في القرآن .

٤ — أن في القرآن آيات طويلة بين آيات قصيرة وآيات قصيرة بين آيات طويلة ، وفي ثنايا بعض الآيات القرآنية ألفاظ يمكن أن تكون رءوس آيات وفواصل مثل : « مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً[1] ، إنا أنذرناكم عذاباً قريباً »[2] .

---

(١) سورة نوح عليه السلام ٢٥ .
(٢) سورة النبأ ٤٠ .

فلو كان تقسيم القرآن إلى آيات وتحديدها راجعاً إلى الإجتهاد والقياس لما وجد هذا اللون في القرآن الكريم لكن وجوده دليل على أن ذلك أمر توقيفي من الله تعالى .

والممعن النظر في القرآن يمكنه استخراج أدلة على صحة ما نقول أكثر وأكثر .

عدد آيات القرآن وسبب الخلاف فيه

أجمع العلماء على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم إختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومئتا آية وأربع آيات ، ومنهم من زاد على المئتين أربع عشرة ، ومنهم من زاد تسع عشرة ، ومنهم من زاد خمساً وعشرين ، ومنهم من زاد ستا وثلاثين . . .

وممن عنى باحصاء عدد أى القرآن من الصحابة والتابعين : عبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس وأنس بن مالك وعائشة وعروة بن الزبير وعطاء ابن أبى رباح وسعيد بن جبير والحسن البصرى وكعب الأحبار وغيرهم ممن عاشوا بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام .

ويرجع سبب إختلاف السلف فى عدد آيات القرآن إلى :

(ا) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقف على رءوس الآى للتوقيف والتعليم وبيان أنها آيات فاذا علم محل الآية وصلها بما بعدها لتمام المعنى فيحسب بعض السامعين من الصحابة حينئذ أنها ليست فاصلة .

(ب) أن بعض العلماء والقراء يعد البسملة آية من كل سورة وبعضهم لا يعدها .

(ج) أن فواتح السور المقطعة عد الكوفيون بعضها آيات وغيرهم جعلها كلها جزءاً مما بعدها .

هذا ، ولم يكتف بعض علماء المسلمين وأئمتهم بإحصاء عـــدد آى القرآن الكريم بل قاموا بإحصاء عدد كلماته كلمة كلمة ، وإحصاء حروفه حرفا حرفا ، فأحصوا المرات التى ذكرت فيها الألف : والمرات التى ذكرت فيها الباء والتاء والثاء وهكذا إلى آخر الحروف الهجائية .

ولم يكتفوا بهذا بل حددوا نصف القرآن من حيث السور ومن حيث الآيات ومن حيث الكلمات ومن حيث الحروف ، وحددوا أثلاثه وأرباعه من هذه الحيثيات السابقة ... وهذا يدل على شدة إهتمامهم بالقرآن الكريم ورعايتهم له وحفاظهم عليه وستظل عنايتهم به وخدمتهم له دائمة بدوامه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

فوائد معرفة الآيات وعدها

لمعرفة الآيات القرآنية فوائد كثيرة منها :

١ — الوقف عليها : إذ أن الوقف على رءوس الآيات وفواصلها رغب فيه الشرع وصار سنة ينبغى إتباعها والإستمساك بها والسير عليها .

(ب) العلم بأن الإعجاز يكون بثلاث آيات ولو قصارا لأن الله تحدى الإنس ومن يظاهرهم أن يأتوا بسورة من مثل القرآن فعجزوا ، وأقصر سورة فيه هى سورة الكوثر المكونة من ثلاث آيات ، وفى حكم الآيات الثلاث فى الإعجاز الآية الطويلة .

(ج) أن بعض الأحاديث الصحيحة ربط تقدير ثواب القراءة بعدد الايات، وهذا يدفع العبد إلى معرفة الآيات ليتقرب إلى الله تعالى وينال ثوابها الكبير وأجرها الكثير كقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة : « ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم فى صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان »، وقوله فيما رواه عنه أبو الدرداء : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال »[1]، وغير هذا من الأحاديث الكثيرة التى ربطت الفوائد العظيمة والنتائج الطيبة القويمة العائدة على المرء بعدد الآيات .

---

(١) ج ٢ ص ٤٥٦ — ٤٥٩ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن فى الصلاة وتعلمه وباب فضل سورة الكهف وآية الكرسى : صحيح مسلم بشرح النووى ، والخلفات بفتح الخاء وكسر اللام هى الحوامل=

(د) فى تقسيم القرآن إلى آيات محددة معروف أولها وآخرها تيسير لمن يريد حفظ القرآن وتشجيع له وشحذ لهمته ، فكل من قرأ آية وحفظها وإستقرت فى صدره أقبل بهمة ونشاط وإحساس بالسعادة الغامرة على الآية التى تليها قراءة وحفظاً ... وهكذا يكون حاله إلى أن يستكمل القرآن كله .

(هـ) تيسير بعض الأحكام الفقهية والعمل بها محتاج إلى الوقوف على تحديد الآيات ومعرفتها قال الإمام السيوطى : يترتب على معرفة الآى وعدها وفواصلها أحكام فقهية منها : إعتبارها فيمن جهل الفاتحة فانه يجب عليه بدلها سبع آيات ،ومنها إعتبارها فى الخطبة فانه يجب فيهاقراءة آية كاملة أ هـ [1] .

= من الإبل إلى أن يمضى عليها نصف مدة الحمل ثم هى بعد ذلك عشار ، ومفرد الخلفات : خلفة ، ومفرد العشار : عشراء .

(١) ج ١ ص ٦٩ الإتقان للسيوطى .

ترتيب آيات القرآن الكريم فى سوره

أجمعت الأمة على أن ترتيب الآيات القرآنية فى سورها على الوجه الذى نراه فى المصاحف اليوم حصل بتوقيف من النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأنه لا مجال للرأى والاجتهاد فى ذلك ، فقد كان جبريل ينزل بالآيات على النبى ويدله على مكان كل آية من سورتها فيحفظها كما علمه جبريل ثم يبلغها لأصحابه ويأمر كتاب الوحى بكتابتها فى الموضع المأمور به وفى السورة المأمور بها ، فجبريل كان يقفه على موضع الآية ويحدد له السورة ، وكان الرسول وأصحابه يقرءون ما نزل مرتبا على الوجه الذى علموه من جبريل ، وثبت فى الروايات الصحيحة أن جبريل كان يعارضه بالقرآن فى شهر رمضان من كل عام مرة وأنه عارضه فى العام الأخير من حياته مرتين[1] مرتباً الآيات على ما هى عليه الآن فى المصاحف ، وحفظه الصحابة وقرءوه ثم جمعوه فى خلافة أبى بكر ثم فى خلافة عثمان رضى الله عنهما على نفس الترتيب الذى تركه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذى نراه الآن لم يقدم أحد منهم مؤخراً ولا أخر مقدماً .

---

(١) انظر جـ ٦ ص ٢٢٩ كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبى : صحيح البخارى وأخرجه فى مواطن أخرى من صحيحه كما أخرجه غيره من أهل الكتب الحديثية وهو مروى عن عائشة وفاطمة وابن عباس وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة .

وقد نقل إجماع الأمة على هـذا كثير من العلماء وإليك باقة من أقوالهم الدالة على ما سبق :

قال القاضي عياض : لا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف وهكذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم اهـ(١) .

وقال العلامة مكي بن أبي طالب وغيره من العلماء : ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ ولما لم يأمر بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة اهـ(٢) .

وقال القاضي الباقلاني : ترتيب الايات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا ، والذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر باثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي السورة لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر منه مقدم ، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها اهـ .

---

(١) جـ ٢ ص ٤٣١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل : صحيح مسلم بشرح النووي .

(٢) ص ٥١ تفسير القرطبي وجـ ١ ص ٢٥٦ البرهان للزركشي .

وقال نحوه العلامة أبو جعفر بن الزبير وابن الحصار المالكى والزركشى وغيرهم[1] .

أما الأدلة التى استند إليها الإجماع على أن ترتيب الايات توقيفى فكثيرة إليك بعضها :

١ — روى الإمام أحمد بسنده — وحسنه الهيثمى والسيوطى — عن عثمان بن أبى العاص قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض قال : ثم شخص ببصره فقال : أتانى جبريل عليه السلام فأمرنى أن أضع هـذه الآية بهذا الموضع من هـــذه السورة : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » الآية[2] .

فهذا الحديث صريح فى أن جبريل عليه السلام أعلم الرسول ﷺ بمكان هذه الآية من السورة وأن الترتيب توقيفى واقع فى عهده إذ لا فرق بينها وبين غيرها من الآيات .

---

(١) انظر ج ١ ص ٢٥٦ البرهان للزركشى وج ١ ص ٦٠ – ٦٢ الإتقان للسيوطى وص ٥٩ نكت الانتصار للصيرفى .

(٢) انظر ج ١٨ ص ١٩١ أبواب التفسير سورة النحل : الفتح الربانى ، وج ٧ ص ٤٩ كتاب التفسير سورة النحل : مجمع الزوائد، وج ١ ص ٦٠ الإتقان ، والحديث مروى عن عثمان بن أبى العاص لا عن عمرو بن أبى العاص كما وهم الهيثمى صاحب مجمع الزوائد ، وشخص بصره من باب خضع أى فتح عينيه ولم يطرف ، ورقم الآية ٩٠ سورة النحل .

٢ - فى القرآن الكريم ناسخ ومنسوخ وشأن المنسوخ أن يقدم وشأن الناسخ أن يؤخر لكنا نرى فى القرآن بعض آيات قدم فيها الناسخ على المنسوخ مثل آية : «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» : الآية ، قالوا إنها ناسخة لحكم الآية التى بعدها : «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج» : الآية[1] .

روى البخارى بسنده أن عبد الله بن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا - قال : قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال ، ياابن أخى لا أغير شيئاً منه من مكانه اه .

قال الحافظ ابن حجر معلقا : وفى جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآى توقيفى وكأن عبد الله بن الزبير ظن أن الذى ينسخ حكمه لا يكتب فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقيف اهـ[2] .

٣ - فى القرآن العظيم آيات كريمة أرشد الرسول أصحابه إلى فضلها واكتفى بالإشارة إليها فلولا أنه وقفهم على ترتيبها ودلهم على مواضعها لما اكتفى بالإشارة إليها :

روى الشيخان بسندهما عن أبى مسعود البدرى قال : قال رسول الله ﷺ الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه .

---

(١) الآية الأولى والثانية من سورة البقرة ٢٣٤ - ٢٤٠ .
(٢) جـ ٨ ص ١٩٤ كتاب التفسير سورة البقرة : فتح البارى لابن حجر.

وروى مسلم بسنده عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال(١) .

والروايات في هذا كثيرة مستفيضة يطول ذكرها ويكثر عدها .

٤ - ثبت في السنة الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ سورا بتمامها في الصلاة وغيرها بمشهد من الصحابة وحضورهم ، ومعلوم أنه كان يقرؤها مرتبة الايات بعد أن يعلمه من جبريل عليه السلام وهم يكتبونها ويحفظونها كذلك .

روى الشيخان بسندهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور(٢) .

والروايات في ذلك فاضت بها كتب السنة .

وكما كان يقرأ عليهم كانوا يقرءون عليه بأمره وإن شئت فانظر في صحيح البخاري الرواية التي تفيد قراءة عبد الله بن مسعود على الرسول بأمره(٣) ، ووقع هذا لغير عبد الله بن مسعود أيضا .

---

(١) انظر الحديث الأول في ج ٥ ص ١٠٧ كتاب المغازي باب حدثني خليفة : صحيح البخاري ، و ج ٢ ص ٤٥٨ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة : صحيح مسلم بشرح النووي . وسبق تخريج الحديث الثاني قريبا .

(٢) ج ١ ص ١٨٤ كتاب الاذان باب الجهر في المغرب : صحيح البخاري و ج ٢ ص ١٠١ كتاب الصلاة باب القراءة في الصبح والمغرب : صحيح مسلم بشرح النووي .

(٣) انظر ج ٦ ص ٢٤١ كتاب فضائل القرآن باب قول المقرىء للقارىء حسبك : صحيح البخاري ، وأخرجه غيره من أهل الحديث .

٥ ـ نرى فى القرآن المجيد آيات مدنية فى سور مكية وهذا كثير ، وآيات مكية فى سور مدنية وهذا قليل ، ونرى أول ما نزل على الإطلاق وهو صدر سورة العلق موجوداً فى أواخر القرآن .

فوجود هذين الأمرين فى القرآن دليل على أن ترتيب الايات توقيفى ولو كان ترتيبها باجتهاد الصحابة أو إجتهاد الرسول لما وجد فيه ذلك .

٦ ـ فى القرآن آيات لها سبب نزول خاص والسبب أحياناً يكون واحداً والمنزل متعدداًومفرقا فى مواضع، وهاك مثالا: قوله تعالى: «فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم » : الآية ، «ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض» : الآية ، «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات» . الاية[1] :

هذه ثلاث آيات متفرقة ، سبب نزولها سؤال أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلة : يارسول الله يغزو الرجال ولاتغزوا النساء ولاأسمع الله ذكر النساء فى الهجرة ؟ فأنزل الله هذه الايات الثلاث[2]، فى السور الثلاث فلو كان الترتيب من رأى الصحابة وإجتهادهم لكتبوها فى موضع واحد

---

(١) الآية الأولى من سورة آل عمران ١٩٥ والثانية من سورة النساء ٣٢ والثالثة من سورة الأحزاب ٣٥ .

(٢) أنظر الروايات فى المستدرك للحاكم وصححها وأقره الذهبى ج ٢ ص ٣٠٠ — ٣٠٦ — ٤١٦ كتاب التفسير سورة آل عمران والنساء والأحزاب ، وفى سنن الترمذى ج ٤ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ أبواب تفسير القرآن سورة النساء .

ورتبوها إثر بعضها نظراً لسبب نزولها لكن هذا لم يكن فدل على التوقيف .

٧ ـ لو كان ترتيب الآيات من فعل الصحابة وإجتهادهم لما وجدت فى القرآن آيات فاصلتها مخالفة لسائر فواصل الايات التى قبلها وبعدها مثل قوله تعالى: «فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم»(١) ، ومثل : «إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه» : الآية(٢) وهى من أطول آيات القرآن ومتممة لسورة آياتها قصيرة وفاصلتها مخالفة لماقبلها .

٨ ـ لم أجد فى خلال إطلاعى رواية تفيد أن مصحفاً من مصاحف الصحابة كان مخالفاً لآخر فى ترتيب الآيات ، وهذا يدل على أن كل سورة فى مصاحفهم كانت مرتبة الآيات على الوجه الذى نراه الآن فى المصحف وعلى أنه أمر توقيفى معلوم لهم لأخلاف فيه ولامرية .

ويضاف إلى ماسبق أن كل آية من القرآن قد وضعت فى مكانها المعد لها أحسن وضع وصار القرآن كله بديع التنسيق معجز الترتيب والمعجز لايكون من صنع مخلوق .

هذه براهين ساطعة وحجج ناصعة سقتها للدلالة على توقيفية ترتيب الآيات ، والمتأمل فى القرآن الكريم والسنة الشريفة وأقوال الأئمة يمكنه أن يستخرج أدلة أكثر وأكثر ، وماتقدم قل من كثر .

---

(١) سورة طه ٧٨ .

(٢) سورة المزمل ٢٠ .

وقد يشكل على القول بأن الآيات كلها رتبت بتوقيف من الله تعالى روايات وردت فى كتب السنة مثل قول زيد بن ثابت الذى أسند إليه وإلى غيره من الصحابة جمع القرآن فى عهد أبى بكر : « فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » حتى خاتمة براءة .... فألحقتها فى سورتها .

وقوله فى جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنهما : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها فى سورتها فى المصحف .

فظاهر كلام زيد بن ثابت رضى الله عنه أن هذه الآيات الثلاث رتبت ووضعت فى موضعها باجتهاده ورأيه هو ومن كانوا معه من أعضاء لجنة الجمع .

وقد بينا فيما سبق أن هذه الآيات الثلاث متواترة وأن كل آية منها وضعت فى موضعها بتوقيف من الله تعالى لا عن رأى واجتهاد لأحد من الخلق ، فراجع ذلك إن شئت فى الشبهة الأولى من الشبه الواردة على جمع القرآن الكريم .

وتوجد رواية أخرى يفيد ظاهرها أن فى القرآن آيات غير متواترة ورتبت باجتهاد الصحابة ورأيهم وإليك الرواية بسندها وبيان الحق :

حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا هارون بن معروف

قال حدثنا محمد بن سلمة قال أخبرنا ابن إسحق عن يحيى بن عباد، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال : أتى الحارث بن خزيمة — فى رواية الإمام أحمد الحارث بن خزمة — بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » (إلى آخر السورة) إلى عمر رضى الله عنه فقال : من معك على هذا ؟ ، قال : لا أدرى والله إنى أشهد أنى سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها وحفظتها ، فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا سورة من القرآن فألحقوها فيها فألحقها فى آخر براءة[1] .

فظاهر هذه الرواية المذكورة أن الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانو يرتبون بعض الآيات برأيهم واجتهادهم لا بتوقيف .

وأقول : إن الأمة أجمعت على أن ترتيب الآيات كلها توقيفى واستندت فى هذا إلى أدلة صحيحة صريحة وصار ذلك أمراً معلوماً مقطوعا به ، وهـــذه الرواية معارضة للقــاطع ومعارض القاطع ساقط لا يعتد به ولا يعول عليه .

وإن أبا بكر بن أبى داود مخرج الرواية السابقة ذكر عقبها مباشرة رواية أخرى تعارضها وتنقضها ، رواها من طريق أبى العالية عن أبى بن كعب

---

(١) انظر ص ٣٠ المصاحف لابن أبى داود ، وج ٣ ص ١٦٣ المسند للامام أحمد .

وجاء فيها : أنهم لما انتهوا إلى الآية التى فى سورة براءة : «ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون » أثبتوا أن هذه الآية آخر ما أنزل ، فقال أبى بن كعب وكان يملى : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقرأنى بعد هـذا آيتين : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم »(١) إلى آخر السورة .

ثم إنه جاء فى تلك الرواية قوله : (فألحقها فى آخر براءة) وفى رواية الإمام أحمد : (فوضعتها فى آخر براءة) ، وظاهر ذلك أن واضعها فى مكانها هو الحارث وهذا باطل لأنه لم يكن ممن كلفوا بجمع القرآن ولأنه مختلف فى اسمه ولهذا قال ابن الأثير فى ترجمته بعد نقله الرواية عن ابن مندة : (وهذا عندى فيه نظر)(٢) .

ولا يمكن أن يكون واضعها فى موضعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن السياق فى الحديث ينفيه ولأن عمر مشهور بغيرته على الإسلام وغيرته عليه أشهر من نار على علم .

ويستحيل أن يكون واضعها عباد بن عبد الله لأنه لم يدرك جمع القرآن ولم ير عمر بن الخطاب فأبوه عبد الله بن الزبير لم يولد إلا بالمدينة المنورة أول الهجرة وجمع القرآن كان فى عهد أبى بكر الصديق ولم يكن

---

(١) انظر ص ٣٠ المصاحف .

(٢) جـ ١ ص ٣٨٩ أسد الغابة لابن الأثير .

عبد الله بن الزبير وقته متزوجاً ، ولما تزوج وأعقب كان أكبر أولاده ابنه خبيب وكان يكنى به .

ونرى فى السند أن عباد بن عبد الله أرسل الرواية إرسالا ولم يروها عن الحارث فيكون إسنادها ضعيفاً لانقطاعه ، وكل رجال السند ثقات عدا محمد بن إسحق بن يسار فهو ثقة لكنه مدلس إذا عنعن لا يحتج بحديثه وقد عنعن هنا ، وقد تكلموا فيه فجاء فى ميزان الاعتدال وغيره :

أنه وثقه غير واحد ووهاه آخرون ، قال عنه ابن معين : محمد بن إسحق ثقة وليس بحجة ، وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقال الدارقطنى : اختلفت الأئمة فيه ، وليس بحجة إنما يعتبر به ، وقال الذهبى : الذى يظهر لى أن ابن إسحق حسن الحديث صالح الحال صدوق وما انفرد به ففيه نكارة فإن في حفظه شيئاً ، وقال ابن حجر : صدوق يدلس ورمى بالتشيع والقدر ، وقال الجوزجانى : الناس يشتهون حديثه وكان يرمى بغير نوع من البدع ، وقال سليمان التيمى : كذاب ، وقال أحمد : هو كثير التدليس جداً ، وقال يحيى القطان : أشهد أن محمد بن إسحق كذاب ، وقال مالك : دجال من الدجاجلة [1] .

---

(١) انظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند جـ ٣ ص ١٦٣ ، وتعليق البنا الساعاتى على المسند جـ ١٨ ص ١٧٣ : الفتح الربانى ، وجـ ٣ ص ٢١ وما بعدها : ميزان الاعتدال للذهبى ، وجـ ٩ ص ٤١ وما يليها : تهذيب التهذيب لابن حجر .

ومما سبق يتضح للقارىء أن الرواية السالفة الذكر معلولة متنا وإسناداً فلا يعتد بها ولا يعول عليها ولا يركن إليها .

وبما تقدم يصفو أفق هذا الموضوع ويستبين لنا أن ترتيب الآيات كلها توقيفي من الله تعالى وأن كل حرف من القرآن العظيم متواتر ، وأن من يقول بغير هـذا يكون قد قال منكراً من القول وزوراً لخرقه الإجماع الصريح الصحيح ومخالفته المعلوم المقطوع به لدى المسلمين .

ثانياً : ترتيب السور

معنى السورة لغة وإصطلاحا :

(السورة) كلمة مهموزة وغير مهموزة ، وعدم همزها أفصح وهو الذى جاء بهالقرآن الكريم،فمن همزها جعلها من السؤر وهو مابقى من الشراب فى الإناء ، والمناسبة بين السورة القرآنية وبين هذا المعنى : أن السورة القرآنية قطعة من القرآن وجزء منه كالسؤر الذى هو قطعة وبقية الشراب فى الإناء .

ومن لم يهمزها جعلها من المعنى السابق وحذف الهمزة تخفيفاً وتسهيلا .

ويجوز أن تكون مأخوذة من سورة البناء أى المنزلة والصف من صفوف البناء التى يوضع بعضها فوق بعض وتكون متراصة ، والمناسبة بينهما : أن السورة القرآنية تتكون من عدة آيات وكل آية تتكون من عدة كلمات وكلها متعانقة متماسكة كما أن سورة البناء تتكون من عدة لبنات متراصة متماسكة .

أو من سور المدينة ، والمناسبة بينهما : أن السورة محيطة بآياتها وكلماتها محتوية لها إحاطة سور المدينة بها واحتوائه لمبانيها ، ومنه السوار لإحاطته بالساعد .

أو من السورة بمعنى المرتبة الرفيعة العالية ، ، ومنه قول النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب[1]

وهذا المعنى منطبق على السورة القرآنية فهى عالية القدر رفيعة الشأن ، وكذلك قارئها .

أو من التسور بمعنى الارتفاع والعلو ، ومنه قوله تعالى : « إذ تسوروا المحراب »[2] أى نزلوا على داود عليه السلام من علو ، وهذا المعنى منطبق على السورة القرآنية :

فهى عالية المقام باسقة القدر والرفعة ، وكذلك قارئها .

وعلى هذا فالواو فى (السورة) أصلية .

ومما سبق تعلم مأخذ (السورة) وإطلاقاتها اللغوية وتناسب هذه الإطلاقات مع السورة القرآنية .

أما فى الإصطلاح فهى : طائفة من القرآن مستقلة ذات فاتحة وخاتمة واسم توقيفى خاص بها .

وسور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، وهى متفاوتة فى الطول والقصر فأطول سورة فى القرآن سورة البقرة ويصل عدد آياتها إلى مئتين وست وثمانين آية وفيها آية الدين وهى أطول آية فى القرآن كله ، وأقصر سورة فى القرآن سورة الكوثر وعدد آياتها ثلاث آيات .

---

(١) أى قد علمت أن الله منحك منزلة عالية ومرتبة سامية لو رامها ملك وتسامى إليها لظل معلقا دونها حائرا مضطربا لا يمكنه الوصول إليها .

(٢) سورة ص ٢١ .

وأسماء السور كلها توقيفية بمعنى أن الله تعالى هو الذى سمى كل سورة بأسمها ولا دخل لجبريل عليه السلام ولا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا لأحد من الصحابة الكرام فى ذلك قال جلال الدين السيوطى : وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار اهـ[1].

ويجوز للانسان أن يقول . سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة النساء .... وغيرها من السور القرآنية المسماة بأسمائها التوقيفية .

أما القول بكراهة ذلك إستدلالا بما أخرجه ابن الضريس والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الشعب بسندهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا السورة التى تذكر فيها البقرة والسورة التى يذكر فيها آل عمران وكذا القران كله .

واستدلالا بما أخرجه البيهقى فى الشعب بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لا تقولوا سورة البقرة ولكن قولوا السورة التى تذكر فيها البقرة .

فلا يعتد به لأن الحديث الأول ضعيف السند ، قال الحافظ ابن كثير : هذا حديث غريب لا يصح رفعه وعبيس بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به اهـ ، وقال الإمام أحمد : هو

---

(١) أنظر جـ ١ ص ٥٢ الإتقان للسيوطى ، و ص ١٣ إتحاف الجنان بتفسير أم القرآن للمؤلف .

حديث منكر اهـ ، وادعى ابن الجوزى فى كتابه — الموضوعات — أنه موضوع[1] .

والحديث الثانى موقوف على عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيعد رأياً له واجتهاداً منه وأحياناً يخطىء المرء فى رأيه واجتهاده .

ولأن الأحاديث الكثيرة الصحيحة أثبتت جواز أن يقال سورة البقرة وسورة آل عمران ... إلخ بلا حرج ولا كراهة ، فمن ذلك ما أخرجه مسلم والترمذى وأحمد والبخارى فى تاريخه بسندهم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد ، قال : كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما[2] .

وثبت عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه رمى الجمرة من بطن الوادى فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال : هذا مقام الذى أنزلت

---

(١) أنظر جـ ١ ص ٣٥ تفسير ابن كثير ، و ص ٣٠٥ الفوائد المجموعة للشوكانى .

(٢) جـ٢ص٤٥٧ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة : صحيح مسلم بشرح النووى ، وجـ٤ ص ٢٣٥ كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فى آل عمران سنن الترمذى وحسنه .

عليه سورة البقرة[1] .

والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة موفورة يضيق المقام عن ذكرها أو الأكثار منها فلا إعتداد بما يعارضها .

ولعل النهى المفيد للكراهة كان فى بدء الإسلام حين كان الكفار يستهزئون ويسخرون من أسماء بعض السور كسورة البقرة والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت وغيرها فلما ذاع الإسلام وشاع وسطع نوره وعم نسخ النهى وزال الحرج واستقر الأمر على الجواز .

---

(١) جـ٢ ص ٢١٧ كتاب الحج باب رمى الجمار من بطن الوادى : صحيح البخارى ، و جـ٣ ص ٤٢٩ كتاب الحج باب رمى جمرة العقبة من بطن الوادى : صحيح مسلم بشرح النووى .

تقسيم سور القرآن
بحسب طولها وقصرها

من المعلوم أن أول سورة فى المصحف الشريف سورة الفاتحة ، وآخر سورة فيه سورة الناس ، وقد قام العلماء بتقسيم السور القرآنية من حيث الطول والقصر إلى أربعة أقسام وذكروا لكل قسم اسما معينا خاصاً به وهى :

(أ) الطوال : وهى سبع سور : سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، واختلفوا فى السورة السابعة ، فمنهم من اعتبر سورتى الأنفال والتوبة سورة واحدة سابعة حيث نزلتا فى القتال ولم يفصل بينهما بالبسملة ، ومنهم من جعل سورة يونس عليه السلام سابعة الطول كسعيد بن جبير.

والحق أن سورة يونس أقل طولا من سورة التوبة وحدها فهى تزيد عن ثلثى سورة التوبة قليلا ، فالأولى أن تكون السابعة سورة التوبة .

وسميت هذه السور بالطوال لأنها أطول من غيرها من السور .

(ب) المئون : وهى السور التى يصل عدد آيات كل سورة منها إلى مائة آية أو يزيد قليلا أو ينقص قليلا ، وسميت بهذا لأن كل سورة منها تصل إلى مائة آية أو تقاربها .

(ج) المثانى : وهى السور التى تقل آيات كل سورة منها عن مائة آية قلة ملحوظة وتزيد على المفصل ، وسميت بهذا لأنها تقرأ كثيراً وتثنى أى تكرر أكثر مما تثنى الطوال والمئون .

(د) المفصل : وهى ما ولى المثانى من قصار السور ، وسميت بهذا لسرعة الفصل بالبسملة وكثرته بين السور بسبب قلة آياتها وقصرها ، وقيل : لقلة المنسوخ فيها فكلامها كلام فصل لا نسخ فيه ولا نقض .

وآخرهذا القسم سورة الناس بلا خلاف ، أما أوله فقد اختلف فى تحديده العلماء على اثنى عشر قولاً ، فقيل : أوله سورة الجاثية ، وقيل : سورة القتال وقيل : سورة الفتح ، وقيل : سورة الحجرات ، وقيل غير هذا ، والصحيح أن أوله سورة ق ومما يؤيد هذا : الحديث الذى رواه ابن ماجه وأبو داود وأحمد بسندهم عن أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله ﷺ فى وفد ثقيف ، فنزلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بنى مالك فى قبة له ، فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه ، وأكثر ما يحدثنا مالقى من قومه من قريش ويقول : « ولا سواء ، كنا مستضعفين مستذلين فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا » فلما كان ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلت : يا رسول الله ، لقد أبطأت علينا الليلة ، قال : « إنه طرأ على حزبى من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه » ، قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون

القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده .

وفى رواية الإمام أحمد : ... وحزب المفصل من (ق) حتى نختم[1] .

فنحن إذا جمعنا أرقام الأحزاب الستة كان الناتج ثمانيا وأربعين سورة فتكون السورة التى بعدهن وهى سورة ق أول حزب المفصل ، ونصت على هذا الرواية السابقة للامام أحمد رحمه الله ورضى عنه .

وقد تصفحت المصحف وقمت بمقارنة الأحزاب السبعة المذكورة فى الحديث فوجدتها متقاربة فى الحجم .

وتقسيم سور القرآن إلى هذه الأقسام الأربعة تقسيم بحسب ترتيب السور فى التلاوة والمصحف لا بحسب ترتيبها فى النزول .

أما سورة الفاتحة فليست داخلة فى قسم من الأقسام الأربعة لأنها تعتبر فاتحة كل قسم منها متناسبة معه قوية الارتباط به بل فاتحة كل سورة متناسبة معها قوية الارتباط بها حيث إنها أساس القرآن وأمه وكنزه وسره ، وتسميتها بالسبع المثانى كما جاء فى سورة الحجر فى قوله تعالى : « ولقد آتيناك سبعاً

---

(١) انظر جـ ١ ص ٤٢٧ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب فى كم يستحب ختم القرآن : سنن ابن ماجه وجـ ٢ ص ٥٥ كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن : سنن أبى داود و جـ ١٨ ص ٢٨ باب تحزيب القرآن وأوراده : الفتح الربانى وحسن الحافظ ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٢٦ إسناده .

من المثانى والقرآن العظيم »[1] ، إنمـا هو باعتبار تثنيتها وتكرارها فى كل صلاة لا باعتبار دخولها فى القسم الثالث ، وقد وصف الله القرآن كله بأنه مثانى فقال : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى » الآية[2] لما فيه من تثنية وتكرار الوعد والوعيد والقصص والمواعظ والأحكام وغيرها ولأن تلاوته تثنى وتكرر ويختم المرة بعد المرة فلا يسأم قارئه ولا يمل سامعه .

---

(١) سورة الحجر ٨٧ .
(٢) سورة الزمر ٢٣ .

الحكمة فى تسوير القرآن

وجعل الله القرآن الكريم مقسما إلى سور لحكم عاليـــة وفوائد سامية منها :

١ — إثبات أن السورة الواحدة معجزة وآية من آيات الله تعالى ، وقد جاءت فى القرآن سور طويلة وقصيرة ومتوسطة للتنبيه على أن حجم السورة وطولها ليس من شرط الإعجاز فسورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة إعجاز سورة البقرة التى هي أطول سور القرآن وفى هذا إثبات إعجاز القرآن بأبلغ وجه وآكده .

٢ — الإشعار بأن فى كل سورة موضوعا بارزاً تتحدث عنه وتدور حوله ولها هدف ظاهر ترمى إليه ، وهذا ما يعرف بالوحدة الموضوعية للسورة فمثلا سورة الأنفال تتحدث عن غزوة بدر الكبرى ، وسورة التوبة تتكلم عن أحوال المنافقين وتهتك أستارهم وتفضح أسرارهم وتكشف عوارهم ، وسورة يوسف عليه السلام تتحدث عن قصته ، وهكذا ولو نزل القرآن بلا تسوير لفقدنا هذه الفائدة الجليلة .

٣ — أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن لحاله وأفخم لشأنه من أن يكون بابا واحداً ونوعا واحداً لاسيما إذا كانت أنواعه المندرجة تحته ممتازة الترتيب بديعة التنويع مترابطة متناسقة متعانقة ، وكأن

الله يوحى إلى عباده أن استفيدوا وتعلموا من تقسيم القرآن وبديع ترتيبه لمؤلفاتكم وإن كان الفارق بعيداً والبون شاسعاً ، ولذا يحرص كثير من المؤلفين على إخراج مؤلفاتهم حسنة الترتيب جيدة التنويع والتبويب لأن لا يزهد القراء فيها ويسأموا منها .

٤ — تيسير حفظ القرآن وتسهيله وتشجيع من يشتغل بحفظه وحفزه على المضى فى الحفظ والقراءة ، فهو حينما يحفظ سورة من القرآن يحس أنه أخذ طائفة مستقلة منه فيشعر بالسعادة والغبطة وتغمره الفرحة والبهجة ويعظم عنده ما حفظه ويروم حفظ سورة أخرى ويتسامى إليها ومنه حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا »[1] ، فهو يشبه المسافر كلما قطع ميلا أو فرسخاً نفس ذلك عنه ونشطه للمسير وقطع ميل آخر وهكذا حتى يصل إلى مأربه .

٥ — التدرج بالأطفال فى حفظ القرآن فانهم يبدأون من السور القصار إلى ما فوقها ، وكلما حفظ الطفل سورة انشرح صدره وشعر بالسعادة والمتعة وتاق إلى حفظ سورة أخرى ونافس زملاءه وأقرانه فى الحفظ .

فتحفيظه القرآن ابتداء من السور القصار يتناسب مع تنشئته وتعويده على الحفظ .

إلى غير هذا من الفوائد النبيلة والحكم الجليلة .

---

(١) جد : أى عظم ، انظر الحديث بطوله فى جـ ٣ ص ١٢٠ المسند للامام أحمد .

واختلف العلماء فى الكتب السماوية السابقة : هل كانت مسورة كالقرآن أو لا :

فذهب الزركشى إلى أنها لم تكن مسورة كالقرآن لأنها لم تكن معجزات من ناحية النظم والترتيب ولم تيسر للحفظ .

وذهب الزمخشرى إلى أن الكتب السماوية السابقة وما أوحاه الله إلى أنبيائه كانت مسورة مترجمة السور .

قال السيوطى: وما ذكره الزمخشرى من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب فقد أخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ، وذكروا أن فى الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال[1] ا هـ .

وأقول : إن التعليلين اللذين ذكرهما الإمام الزركشى لا يمنعان من نزولها مسورة ، وإن لفظى « سورة » و « آية » صارا علمين بالغلبة على سور القرآن الكريم وآياته .

(١) انظر جا ص ٢٦٤ البرهان للزركشى وجـ ١ ص ٢٤٠ الكشاف للزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » ٢٣ سورة البقرة ، وجـ ١ ص ٦٦ الإتقان للسيوطى .

مذاهب العلماء فى ترتيب السور القرآنية

وإختلف العلماء فى ترتيب سور القرآن(١) على ثلاثة مذاهب :

الأول : أن ترتيب السور كلها توقيفى كترتيب الآيات فلم توضع سورة فى موطنها إلا بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعليمه ، وعلم الرسول هذا من جبريل ، فكان إذا تمت السورة يأمره بأمر الله أن يجعلها بين سورة كذا وسورة كذا ، وهذا مذهب جمهور العلماء ، قال أبو بكر بن الأنبارى : كان جبريل يوقف رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف فكله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام عن رب العالمين . فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ، ولاحجة على أهل الحق فى تقديم البقرة على الأنعام والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب أ هـ .

وقال نحوه ربيعة والبغوى وأبو جعفر بن النحاس والخازن والكرمانى

---

(١) الأختلاف المذكور فى ترتيب السور إنماهوفى ترتيبها كتابة ، وقد إنعقد الإجماع على وجوب ترتيب الايات والسور كتابة ، أما قراءة السور فى الصلاة وغيرها فلايجب مراعاة الترتيب إنماهو مستحب تعظما لنسق القرآن وتقديساً وتبجيلا لترتيبه لما فى ترتيبه من حكم وإعجاز .

والطيبي وغيرهم كثير(١) .

ومن الأدلة لهذا المذهب :

١ ـ أن جميع الصحابة أجمعوا على المصحف الذى كتب فى عهد عثمان رضى الله عنه وأحرقوا مصاحفهم التى كتبوها لأنفسهم مختلفة فى ترتيب السور ، وإجماعهم عليه دليل على التوقيف إذ لو كان الترتيب عن إجتهاد ورأى لتمسك كل بمصحفه المخالف فى ترتيب سوره للمصحف العثمانى لكن لم يتمسك أحد بمصحفه بل عدل الجميع إلى مصحف عثمان وترتيبه فدل ذلك على أن هذا الترتيب عن علم وتوقيف لا عن رأى وإجتهاد .

٢ ـ أن فى القرآن سوراً متماثلة التزم فى بعضها الترتيب والتوالى كالحواميم والطواسين ، وبعضها الاخر لم يلتزم فيه ذلك فمثلا : السور المبدوءة بالحمد وهى خمس لم توضع متوالية ، وكذلك المبدوءة بالتسبيح وهى سبع ، وكذلك المبدوءة بحروف الهجاء وهى تسع وعشرون سورة ، وكذلك المبدوءة بالنداء وهى عشر سور ، وكذلك المبدوءة بالجمل الخبرية وهى ثلاث وعشرون سورة وكذلك المبدوءة بالقسم وهى خمس عشرة سورة وكذلك المبدوءة بالشرط وهى سبع ، وكذلك المبدوءة بالأمر

---

(١) أنظر ص ٥٢ مقدمة تفسير القرطبي ، وأنظر أقوال هؤلاء الفضلاء فى ج ١ ص ٦١ ـ ٦٣ الإتقان للسيوطى و ج ١ ص ١٠ لباب التأويل للخازن ، و ص ٥ البرهان فى متشابه القرآن للكرمانى مخطوط بمكتبة الأزهر برقم ١٩٤ علوم القرآن .

وهي ست ، وكذلك المبدوءة بالاستفهام وهي ست ، وكذلك المبدوءة بالدعاء وهي ثلاث .

وأيضاً نرى سوراً قصيرة بين سور طويلة فسورة الأنفال قصيرة وهي واقعة بين سورتين طويلتين — الأعراف والتـــوبة — ومثلها سورة الفرقان وغيرها .

وأيضاً توجد سور متفقة في عدد الآيات فمثلا : سورة القيامة والنبأ كل منهما أربعون آية ، والزلزلة والتكاثر كل منهما ثماني آيات .

وأيضاً نرى سوراً مكية بين سور مدنية وبالعكس ، بل نرى سوراً مكية هي من أول ما نزل متأخرة في ترتيب المصحف .

فلو كان ترتيب السور بالأجتهاد للوحظ التجانس والتماثل لـكن هذا لم يكن فدل على التوقيف ، ولا يعقل أن يضعوا سور القرآن كيفما اتفق .

٣ – ورود روايات كثيرة يدل بعضها على أن سور القرآن كانت مرتبة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ويفيد بعضها الاخر أن الرسول قرأ سوراً بتمامها على الترتيب الحالي ، منها :

مارواه الإمام أحمد والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير باسناد حسن عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل»(١) .

---

(١) أنظر ج ٧ ص ١٥٨ باب فضل القرآن : مجمع الزوائد ، وج ١ ص ١٥١ الجامع الصغير .

وسبق قول عثمان بن عفان أمير المؤمنين لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم: ياابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه أ هـ ، وهذا الإطلاق يشمل الآيات والسور ، كما سبق حديث تحزيب القرآن المروى عن أوس بن حذيفة رضى الله عنه(١) .

وما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن سعيد بن خالد أن رسول الله ﷺ قرأ بالسبع الطوال في ركعة .

وفيه أنه ﷺ كان يجمع المفصل في ركعة(٢) .

وما رواه البخاري بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما : « قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس »(٣) .

والأدلة لهذا المذهب كثيرة يطول ذكرها وكلها دالة على أن ترتيب السور على ماهو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المذهب الحق .

الثاني : أن ترتيب السور كلها إجتهادى أى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ترك سور القرآن غير مرتبة والصحابة هم الذين رتبوها على الوضع

---

(١) راجع ص ٢١١
(٢) ج ١ ص ٦٢ الإتقان و ص ٧٠ تناسق الدرر وكلاهما للسيوطى .
(٣) ج ٦ ص ٢٣٣ كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات : صحيح البخاري .

الحالى الذى نراه أثناء جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وقطع بهذا القول الخطابى واحمد بن فارس وغيرهما ، ومن عجب أن الزركشى فى (البرهان) والسيوطى فى (الإتقان) وغيرهما نسبوا القول بالاجتهاد فى ترتيب السور القرآنية إلى الجمهور .

وهذا خطأ منهم والصواب — بعد التمحيص والتحقيق — أن الجمهور على القول الأول وهو الذي تؤيده الأدلة الكثيرة كما قال العلامة الألوسى فى مقدمة تفسيره روح المعانى (جـ ١ ص ٢٦) .

وأن السيوطى فى (تناسق الدرر) رجع عن قوله السابق ونسب القول بالتوقيف إلى جماعة من العلماء وصفهم بأنهم خلائق يعنى الجمهور[١] .

وأهم أدلتهم :

١ — أن الصحابة كانت لهم مصاحف خاصة بهم مختلفة فى ترتيب السور فمصحف على بن أبى طالب رتب على تاريخ النزول كان أوله سورة العلق فالمدثر فالقلم ...وهكذا إلى آخر المكى والمدنى،ومصحف عبد الله بن مسعود كان أوله سورة البقره فالنساء فآل عمران ...، ومصحف أبى بن كعب كان أوله سورة الفاتحة فالبقرة فالنساء فآل عمران فالأنعام . . . على اختلاف شديد وهكذا .

فلو كان ترتيب السور توقيفياً لما أهملوه فى مصاحفهم واختلفوا فيه هذا الاختلاف .

---

(١) أنظر ص ٦٨ تناسق الدرر .

ونجيب بإيجاز فنقول : إن الأدلة السابقة على أن الترتيب توقيفى — وغيرها كثير — تدفع هذا الدليل ، وإن تلك المصاحف كانت مصاحف فردية شخصية كتبها من كتبوها من الصحابة لأنفسهم خاصة حسبما تيسر لهم قبل العرضة الأخيرة وقبل علمهم بالتوقيف وكان بعضهم يزيد فيها لنفسه ما يراه محتاجاً إليه ولا يلزم به أحداً فأشتملت على آيات منسوخة التلاوة وتأويل بعض الآيات وتفسيرها وبعض الأدعية والمأثورات، وبعضها كمصحف ابن مسعود لم يحو ما اشتهر وذاع وأمن نسيانه ولم يخف عليه الضياع وهو سورة الفاتحة والمعوذتين ، فلم تكن تلك المصاحف مكتوبة للناس وإنما كانت بمثابة المذكرات الشخصية التى يدونها الفرد لنفسه خاصة .

وبعد علمهم بالتوقيف فى عهد رسول الله قرءوا القرآن على الترتيب المعروف وحافظوا عليه وظلت مصاحفهم الشخصية محفوظة عندهم كما يحافظ المرء على شيء خاص به عزيز عليه إلى أن وقعت الفتنة فى عهد عثمان رضى الله عنه فأهملها أصحابها وعدلوا عنها وأجمعوا على المصحف العثمانى وهذا لا يكون إلا عن علم ودليل ، ولو كان المصحف العثمانى مرتبة سوره بالاجتهاد والرأى لما أجمعوا عليه ولتمسك كل بمصحفه وترتيبه ، فاختلاف مصاحفهم فى ترتيب السور ليس بحجة .

ولم نر ولم نسمع رواية تفيد أن الصحابة اختلفوا فى ترتيب السور إبان جمعهم القرآن فى عهدي أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما ، وسؤال ابن عباس الآتى ذكره — فى المذهب الثالث — لعثمان رضى الله عنهم عن إقتران سورة التوبة بالأنفال سؤال استفسار واستفهام وليس اختلافاً فى الترتيب .

ولم نر ولم نسمع رواية تفيد أن واحداً من الصحابة الذين لهم مصاحف خاصة بهم كان يقرأ القرآن على ترتيب مصحفه الخاص به مخالفاً ترتيب القرآن على عهد أبى بكر أو عهد عثمان رضى الله عنهما .

ولم نر ولم نسمع رواية تفيد أن أحد الصحابة الذين لهم مصاحف خاصة بهم ألزم غيره بمصحفه أو دعا إليه أو أدعى أن مخالفته محرمة .

ولا يعقل أن يحفظ الصحابة القرآن كله فى حياة رسول الله ويعرفوا أول ما نزل وآخره ومكيه ومدنيه وناسخه ومنسوخه وغير هذا مما يتعلق به وهم لا يقفون على ترتيب سوره بعد وقفهم على ترتيب آياته وحاشى له صلى الله عليه وآله وسلم أن يهمل القرآن أو يغفل عنه وهو برهان نبوته ونور شريعته وروح أمته فيتركه لهم غير مرتب السور .

ذكر الإمام النيسابورى (وهو من القائلين بأن ترتيب السور توقيفى) السبب الذى أدى إلى اختلاف مصاحف الصحابة فى ترتيب السور فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله ﷺ أو كتبها ثم خرج فى سرية فنزلت فى وقت مغيبه سورة فانه كان إذا رجع يأخذ فى حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه لنفسه فى مصحفه تقديم وتأخير من هذا الوجه ، وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب فى حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة ، ومنهم من كان كتبها فى مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين فى

حفظ القرآن فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه»[1] .

ويضاف إلى قوله أن أدوات الكتابة كانت عندهم شاقة وعسيرة وكانوا مشغولين بالعبادة ونشر الإسلام ومتطلبات الحياة .

٢ — وما أخرجه مسلم والنسائي وأحمد وغيرهم بسندهم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا . . . الحديث[2] .

فتقديم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سورة النساء على سورة آل عمران دليل على أن سور القرآن لم ترتب في عهده وإنما رتبت بعده باجتهاد من المسلمين إذ لا فرق بين هاتين السورتين وغيرها من السور .

ونجيب فنقول : لعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قدم سورة النساء لأنه لم يكن علم ترتيبها أو أنها كانت مقدمة في ذلك الوقت على سورة آل عمران ثم أخرت عنها ووقع الترتيب بعد ذلك بالتوقيف أو أن ترتيب السور في

---

(١) أنظر ص ٥٢ مقدمة تفسير القرطبي ، وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش تفسير الطبري ج١ ص ٢٥ ، وص ٣٢ مقدمة كتاب المباني .

(٢) ج٢ ص ٤٣٠ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل : صحيح مسلم بشرح النووي .

القراءة ليس بواجب وإنما هو مستحب وفعل رسول الله ما فعل مع علمه بالترتيب التوقيفي للسور لبيان الجواز والتيسير على أمته .

ثم إن ما وقع وقع لسورة آل عمران والنساء فكيف ينسحب ما وقع لهما على جميع السور القرآنية ؟ .

الثالث : أن بعض السور رتب بتوقيف من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعضها الآخر رتب باجتهاد الصحابة بعده .

واختلف أصحاب هذا المذهب في تعيين السور المرتبة بالتوقيف والسور المرتبة بالاجتهاد : فيرى عبد الحق بن عطية أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كانت مرتبة بتوقيف ، وما عدا ذلك من السور رتب باجتهاد الصحابة .

ويرى أبو جعفر بن الزبير أن الآثار تشهد بسور كثيرة تفوق ما نص عليه ابن عطية .

ويرى الحافظ بن حجر أنه يحتمل أن الذي كان مرتباً بالتوقيف حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه .

ويرى السيوطي أن نفس الأقسام الأربعة وهي: الطوال والمئون والمثاني والمفصل كانت مرتبة إجمالا بالتوقيف ، أما سورها فهي التي ينبغي أن تكون محل الخلاف ثم إختار السيوطي ما قاله البيهقي وهو أن السور كلها رتبت بتوقيف إلا الأنفال وبراءة فقد رتبتا باجتهاد عثمان رضي الله عنه[1] .

(١) أنظر ص ٢٧٥ مقدمة تفسير ابن عطية ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان في علوم القرآن ، و ج ١ ص ٦٢ الإتقان ، و ج ٩ ص ٤٣ فتح الباري ، و ٦٩ - ٧٢ تناسق الدرر .

والقول بأن ما رتب من السور بالاجتهاد هو سورتا الأنفال وبراءة هو أشهر قول ورأى فى هذا المذهب الثالث .

وإستدل البيهقى والسيوطى ومن تبعهما على رأيهم بما أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقى وابن حبان وصححه والحاكم وصححه والترمذى وحسنه واللفظ له عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قلت لعثمان بن عفان : ماحملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتموها فى السبع الطول ماحملكم على ذلك ؟ . فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، فاذا نزلت عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيهـا كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتهـا فى السبع الطول اهـ[1] .

---

(١) الطول جمع طولى كالكبر جمع كبرى ، وكسر الطاء مرذول، وانظر الحديث فى ج ١ ص ٣٢٩ و ص ٣٧٦ المسند ، و ج ١ ص ١٨١ كتاب=

ونجيب بأن هذا الحديث لا ينهض حجة لرأيهم من جهة متنه وسنده :

أما المتن فانه معارض بالأدلة القوية السابقة الدالة على التوقيف فى كل السور ، وبما ثبت فى السنة الصحيحة من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعارضه جبريل بالقرآن فى شهر رمضان من كل عام مرة ، وعارضه بالقرآن فى شهر رمضان فى العام الأخير من حياته مرتين فأين كان يضع هاتين السورتين فى قراءته ؟؟ .

لا يعقل أن يعرضه كله مرتبا دون أن يعرف موضع هاتين السورتين ، ولا يعقل أن يرتبه كله للصحابة ثم يقبض وينتقل إلى الرفيق الأعلى دون بيان أن سورة التوبة من الأنفال أو ليست منها وهم فى حاجة إلى البيان والأنفال نزلت فى السنة الثانية الهجرية فى غزوة بدر الكبرى والتوبة نزلت فى السنة التاسعة بعد غزة تبوك ، فهل يعقل أن يظل الرسول بعدها موجوداً بينهم أكثر من خمسة عشر شهراً ولا يبين لهم موضع هاتين السورتين ثم يموت دون بيان موضعهما ؟؟ إن ذلك بعيد بل غير مقبول .

قال الخطيب البغدادى : .... ولا يقبل خبر الواحد فى منافاة حكم العقل وحكم القرآن الثابت المحكم والسنة المعلومة والفعل الجارى مجرى السنة وكل دليل مقطوع به ا هـ .

= الصلاة باب من جهر بالبسملة : سنن أبى داود ، و جـ٢ص ٤٢ كتاب الصلاة : السنن الكبرى للبيهقى ، و جـ ١ ص ١٨٦ كتاب الوحى : صحيح ابن حبان ، و جـ٢ ص ٢٢١ – ٣٣٠ كتاب التفسير سورة التوبة: المستدرك للحاكم ، وجـ ٤ ص ٣٣٦ أبواب تفسير القرآن سورة التوبة : سنن الترمذى.

وقال نحوه العلامتان : ابن حجر والسيوطى[1] .

وإن سورة الأعراف ويونس وهود سور مشتركة فى ذكر قصص الأنبياء ومكية النزول ، وسورة التوبة والمنافقون اشتركتا فى الحديث عن المنافقين وفضحهم ، فلو كان ترتيب هاتين السورتين — الأنفال وبراءة — من فعل عثمان رضى الله عنه لما وضعهما هنا ولوالى بين السور الثلاث السابقة ولقرن سورة التوبة بسورة المنافقون لكن هذا لم يكن .

ثم إن لكل من السورتين اسما مستقلا خاصاً بها وأسماء السور توقيفية ، وهذا يفيد أن سورة التوبة ليست من الأنفال وأن كلا منهما سورة قائمة بذاتها وأن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وعلى هذا انعقد إجماع من يعتد بهم وهم أهل الحل والعقد .

أما ظن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنها منها فلعله قصد أن المناسبة بين السورتين قوية واضحة لدرجة أنهما كالسورة الواحدة فكلامه على التشبيه لا الحقيقة ، أو أنه ظن ذلك قبل علمه بالتوقيف ومن علم حجة على من لم يعلم ، قال الألوسى فى مقدمة تفسيره : وعثمان رضى الله تعالى عنه وإن لم يقف على ما يفيده القطع فى براءه والأنفال وفعل ما فعل بناء على ظنه إلا أن غيره وقف وقبل ما فعله ولم يتوقف اهـ[2] .

---

(١) أنظر ص ٦٠٦ باب ذكر ما يقبل فيه خبر الواحد ومالا يقبل فيه : كتاب الكفاية للخطيب البغدادى وص ٨٣ شرح نخبة الفكر لإبن حجر ، و جـ ١ ص ٢٧٦ النوع الحادى والعشرون تدريب الراوي للسيوطى .

(٢) أنظر جـ ١ ص ٢٧ روح المعانى للألوسى .

ولم يثبت فيما أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر أن السبع الطوال متوالية ، وقد قارنت التوبة بما بعدها من السور فلم أجد سورة أطول منها وبهذا تكون هي السابعة فوجود سورة الأنفال وهي قصيرة بين السبع الطوال دليل على التوقيف .

أما البسملة فالصواب أنها لم تكتب في صدر سورة براءة لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور ، ولا يعقل أن يحذفها عثمان برأيه لأنه لا مدخل لرأي أحد في إثبات شيء أو تركه من القرآن إذ المدار في هذا على الوحي والتوقيف لا على الرأي والاجتهاد ، ولو فعل عثمان هذا برأيه لعارضه الصحابة وواجهوه وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ولا يصدهم عن إتباع الحق حائل وكيف يفعل وهو أمير المؤمنين والقائم على أمر الدين .

إننا لوجوزنا إسقاط عثمان البسملة برأيه من سورة التوبة لكان فيه تأييد لبعض الشيعة وغيرهم من الملاحدة القائلين بتحريف القرآن ،ولوجوزنا ترتيب بعض السور بالإجتهاد لجوزناه، في كل السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك يبطل حجية القرآن .

قال صاحب مقدمة كتاب المباني : من زعم أن بعض القرآن سقط من المسلمين وقت جمع المصحف وأن السور ضم بعضها إلى بعض بالمشورة والرأي فقد أعظم على الله الفرية لأن رسول الله ﷺ كان يملي كل ما نزل من القرآن على كتابه أولا بأول ميلا إلى حفظه وصيانته اهـ (١) .

---

(١) ص ٥٨ مقدمة كتاب المباني ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان في علوم القرآن .

ومما تقدم ترى أن في الرواية تشكيكاً في الترتيب التوقيفي لكل السور القرآنية ، وفي السبب الحقيقي في عدم ذكر البسملة في صدر سورة التوبة ، ولذا تقتضي الحكم عليها بأنها رواية معلولة .

أما السند فقد صححه بعض الأئمة كما مر ، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس إلخ ، وقال ابن كثير : إسناد جيد قوي اه[1] .

والذي أراه أن سند هذا الحديث معلول أيضاً ففيه يزيد الفارسي وهو مجهول الحال وفيه عوف الأعرابي الذي انفرد به عن يزيد وقد تكلموا فيه.

أما يزيد الفارسي فقد اختلف فيه هل هو ابن هرمز أو غيره ، قال البخاري : قال لي علي : قال عبد الرحمن : يزيد بن هرمز هو الفارسي ، فذكرته ليحيى فلم يعرفه ، قال : وكان يكون مع الأمراء اه .

ونقل ابن حجر — أثناء كلامه عن يزيد بن هرمز — أن ابن أبي حاتم قال : اختلفوا هل هو يزيد الفارسي أو غيره فقال ابن مهدي وأحمد : هو ابن هرمز ، وأنكر يحيى بن سعيد القطان أن يكونا واحداً ، وسمعت أبي يقول يزيد بن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي هو سواه اه[2] .

وذكر صاحب مقدمة كتاب المباني أنه يزيد بن أبان الرقاشي وليس

---

(١) ص ٢٤ فضائل القرآن لابن كثير .

(٢) أنظر ص ٣٧ كتاب الضعفاء الصغير للامام البخاري وهو مخطوط بمكتبة الأزهر برقم ٤٤٦ مصطلح الحديث (مجاميع) ، و ج ١١ ص ٣٦٩ تهذيب التهذيب لابن حجر .

يزيد الفارسي[1] .

ولئن كان الراوي يزيد بن أبان الرقاشي كما قال فان فيه مقالا أيضاً ، قال فيه النسائي : يزيد بن أبان الرقاشي متروك بصري ، وقال شعبة : لأن أزني أحب إلي من أن أحدث عن يزيد الرقاشي ، وقال أحمد : كان منكر الحديث ، وقال الدارقطني وغيره : ضعيف ، وقال الساجي : كان يهم ولا يحفظ[2] اهـ .

والحق أن يزيد الرقاشي لم يرو عن ابن عباس ولم يدركه وإنما روى عن أنس بن مالك وهو أصغر سناً من يزيد الفارسي ، وسواء كان الراوي عن ابن عباس هذا أو ذاك فقد عرفت بإيجاز ما قيل فيهما .

وأما عوف فهو عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، وثقه بعضهم وجرحه البعض الآخر ، قال فيه الإمام مسلم : إذا وازنت بينه وبين الأقران رأيت البون بينه وبينهم بعيداً في كمال الفضل وصحة النقل وإن كان عوف غير مدفوع عن صدق وأمانة عند أهل العلم ، وقال ابن المبارك : كانت فيه بدعتان : قدري شيعي ، وقال الأنصاري : رأيت داود بن أبي هند يضرب عوفا ويقول : ويلك يا قدري ، وقال بندار : والله لقد كان عوف قدريا

---

(١) ص ٤٠ مقدمة كتاب المباني ضمن مجلد بعنوان : مقدمتان في علوم القرآن .

(٢) انظر ص ٣٢ كتاب الضعفاء والمتروكين للامام النسائي وهو مخطوط بنفس البيان السابق في كتاب البخاري ، وجـ ١١ ص ٣١١ تهذيب التهذيب .

رافضيا شيطاناً اهـ[1].

وما دام الحديث وسنده معلولين كما رأيت فلا يجوز الاحتجاج به على كون الأنفال والتوبة رتبتا باجتهاد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وأنه هو الذى قرن بينهما .

والحق الذى لا محيد عنه ولا انفكاك منه أنك لو أمعنت النظر فى أى دليل استند إليه من قال بخلاف توقيفية ترتيب الآيات كلها والسور جميعها لألفيته منقوضاً لا يعول عليه وضعيفا لا يستند إليه .

ومما سبق تعلم أن ترتيب الآيات والسور كلها توقيفى وأن كل حرف من القرآن الكريم من الألف إلى الياء متواتر وأن البسملة لم توضع فى صدر سورة التوبة لأن الله عز وجل لم ينزلها لهذه السورة ولم يأمر بذلك .

نسألك اللهم أن تهدينا سبيل الرشاد وتعلمنا ما ينفعنا وننتفع بما
تعلمنا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم
وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه آمين

---

(١) أنظر مقدمة صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٤ ، و جـ ٢ ص ٣٠٩ ميزان الاعتدال للذهبي ، و جـ ٨ ص ١٦٧ تهذيب التهذيب لابن حجر .

أهم مراجع الكتاب

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ وبهامشه : إعجاز القرآن للقاضي الباقلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط الثالثة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م .

٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير الجزري ت ٦٣٠ هـ بتحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ، مطبعة دار الشعب .

٤ ـ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥ هـ وبهامشه : النهر الماد من البحر له أيضاً ، والدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذه : تاج الدين أحمد ابن عبد القادر ، مطبعة السعادة ط الأولى ١٣٢٨ هـ .

٥ ـ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي ت ٧٩٤ هـ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط الثانية ١٩٧٢ م .

٦ ـ البيان في مباحث من علوم القرآن لشيخنا المرحوم عبد الوهاب غزلان ، مطبعة دار التأليف ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م .

٧ ـ تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ هـ بتحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة الحضارة العربية ـ الفجالة ط الثانية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .

٨ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين السيوطي بتحقيق شيخنا المرحوم عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطبعة السعادة ط الثانية ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م .

٩ ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي .

١٠ ـ تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ، حققه عبد القادر أحمد عطا وسماه : أسرار ترتيب القرآن ، دار النصر للطباعة الإسلامية ط الثانية ١٩٧٨ م .

١١ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن بالهند ط الأولى ١٣٢٦ هـ .

١٢ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي الأندلسي ت ٦٧١هـ بتصحيح الشيخ إبراهيم أطفيش ، مطبعة دار الشعب .

١٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ط الثانية ١٩٦٧ م .

١٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للسيد محمود الألوسي البغدادي ت ١٢٧٠ هـ ، مطبعة دار الفكر ـ بيروت .

١٥ ـ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر .

١٦ ـ سنن ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

١٧ ـ سنن الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ هـ بتحقيق الشيخ عبد الرحمن محمد عثمان ، مطبعة الفجالة .

١٨ ـ الشفا للقاضي عياض بشرحيه لأحمد شهاب الدين الخفاجي ، وعلي القاري ت ١٠١٤ هـ ، المطبعة الأزهرية المصرية ط الأولى ١٣٢٧ هـ .

١٩ ـ صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ ، مطبعة دار الشعب .

٢٠ ـ صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١ هـ وعليه شرح الإمام النووي ت ٦٧٦ هـ بتحقيق عبد الله بن أبي زينة ، مطبعة دار الشعب .

٢١ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين أبي محمد محمود ابن أحمد العيني ت ٨٥٥ هـ دار الفكر للطباعة والنشر .

٢٢ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري على هامش تفسير ابن جرير الطبري ، المطبعة الأميرية ببولاق ط الأولى ١٣٢٣ هـ .

٢٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، بتحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ومراجعة محب الدين الخطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر .

٢٤ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١هـ للشيخ أحمد البنا الساعاتي ، مطبعة الإخوان ط الأولى .

٢٥ ـ فضائل القرآن للحافظ ابن كثير الدمشقى ، مطبوع فى آخر تفسيره المعرف به فى رقم (٩) .

٢٦ ـ الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة لأبى عبد الله محمد بن على الشوكانى ت ١٢٥٠ هـ بتحقيق الشيخ عبـــد الرحمن المعلمى ومراجعة شيخنا المرحوم عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطبعة السنة المحمدية ط الأولى ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م .

٢٧ ـ كتاب المصاحف لأبى بكر عبد الله بن أبى داود ت ٣١٦ بتصحيح د ـ آثر جفرى ، المطبعة الرحمانية ط الأولى ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م .

٢٨ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى ت ٥٣٨ هـ ، وبذيله حاشية السيد الشريف الجرجانى ، والإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير أحمد بن محمد الإسكندى ، مطبعة دار المعرفة ـ بيروت .

٢٩ ـ الكفاية فى علم الرواية لأبى بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى ت ٤٦٣ هـ بتقديم الشيخ محمد الحافظ التيجانى ومراجعة عبد الحليم محمد وعبد الرحمن حسن ، مطبعة السعادة ١٩٧٢ م .

٣٠ ـ اللآلىء الحسان فى علوم القرآن لأستاذنا الفاضل الدكتور موسى شاهين لاشين ، مطبعة دار التأليف ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

٣١ ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد الخازن ت ٧٢٥ هـ ، وبهامشه تفسير البغوى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ط الثانية ١٣٧٥ هـ .

٣٢ ـ لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ط الثانية ١٩٥٤ م .

٣٣ ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى ت ٥٣٨ هـ مطبعة ستاركو ـ بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م .

٣٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلى بن أبى بكر الهيثمى ت ٨٠٧ هـ بتحرير الحافظين العراقى وابن حجر ، مطبعة القدسى ١٣٥٣ هـ .

٣٥ ـ مختصر التحفة الأثنى عشرية للسيد محمود شكرى الألوسى بتحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ط الثانية ١٣٨٧ هـ .

٣٦ ـ المستدرك على الصحيحين لأبى عبدالله محمد الشهير بالحاكم النيسابورى ت ٤٠٥ هـ وبذيل صفحاته : تلخيص المستدرك لشمس الدين الذهبى ، مطابع النصر الحديثة ـ الرياض .

٣٧ ـ المسند للامام أحمد بن حنبل ، وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ـ بيروت ط الثانية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م ، ونسخة أخرى لا يوجد بهامشها المنتخب وهى بتعليق الشيخ أحمد شاكر ولم يستوعب كل المسند ، مطبعة دار المعارف ١٩٤٧ م .

٣٨ ـ معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ، بتحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة دار الفكر العربى ١٩٦٩ م .

٣٩ ـ المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت ٥٠٢ هـ ، بتحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٦١ م .

٤٠ ـ مقدمتان فى علوم القرآن : مقدمة كتاب المبانى فى نظم المعانى لعالم مغربى مجهول الاسم عاش فى القرن الخامس الهجرى ، ومقدمة تفسير عبدالحق ابن عطية الأندلسى ت ٥٤٣هـ ، مطبعة دار الصاوى بالقاهرة ط الثانية بتحقيق د ـ آثر جفرى ١٩٧٢ م .

٤١ ـ المقنع فى رسم مصاحف الأمصار وبآخره : كتاب النقط لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى ت ٤٤٤ هـ ، بتحقيق الشيخ محمد الصادق قمحاوى ، دار عطوة للطباعة ١٩٧٨ م .

٤٢ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى .

٤١ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال للحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ت ٧٤٨هـ وهو اختصار لمنهاج السنة لابن تيمية بتحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ١٣٧٤ هـ .

٤٤ ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للحافظ الذهبى ، مطبعة السعادة ط الأولى ١٣٢٥ هـ .

٤٥ ـ النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ، مطبعة السعادة ١٩٦٩ م .

٤٦ ـ النشر فى القراءات العشر لأبى الخير محمد شمس الدين بن محمد الجزرى ت ٨٣٣ هـ بتحقيق الشيخ على محمد الضباع ، مطبعة مصطفى محمد .

٤٧ ـ نكت الانتصار لنقل القرآن لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الصيرفى ، وهو اختصار لكتاب القاضى الباقلانى : الانتصار لنقل القرآن ، بتحقيق د ـ محمد زغلول سلام ، مطبعة دار بور سعيد ١٩٧١ م .

أما المراجع المخطوطة فهى :

١ — البرهان فى متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لأبى القاسم محمود بن حمزة الكرمانى خ برقم ١٩٤ علوم القرآن بمكتبة الأزهر .

٢ — كتاب الضعفاء الصغير للامام البخارى خ برقم ٤٤٦ مصطلح الحديث مجاميع بمكتبة الأزهر .

٣ — كتاب الضعفاء والمتروكين للامام النسائى خ بالبيان السابق .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقـــدمة :	٣
المبحث الأول : المكى والمدنى	٩
فوائد معرفة هذا المبحث	١٢
تعريف المكى والمدنى	١٦
التعريف الأول	١٦
« الثانى	١٧
« الثالث	١٩
الطريق إلى معرفة المكى والمدنى	٢٢
الطريق الأول	٢٢
« الثاني	٢٤
ضوابط كل من المكى والمدنى	٢٥
ضوابط المكى وعلاماته	٢٥
« المدنى «	٢٦
مميزات كل من المكي والمدني وخواصهما	٢٧
مميزات القسم المكى وخواصه	٢٧
« « المدنى «	٣٥

الموضوع	الصفحة
السور المكية والسور المدنية	٤٠
الحكم على السور بأنها مكية أو مدنية صادق باحدى حالتين	٤١
بعض الشبه التى أثيرت حول مكى القرآن ومدنيه	٤٥
الشبهة الأولى والرد عليها	٤٦
« الثانية « «	٥١
« الثالثة « «	٥٩
« الرابعة « «	٦٢
المبحث الثانى : جمع القرآن الكريم	٦٧
فائدة هذا المبحث وأهميته	٧٠
جمع القرآن بمعنى حفظه فى الصدور	٧٢
القراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	٨٠
شبهة على تواتر القرآن ودفعها	٨٣
جمع القرآن بمعنى كتابته فى عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم	٩٠
كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	٩٣
المكتوب به والمكتوب عليه	٩٣
سبب كتابة القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والدافع إليها	٩٧
سبب عدم جمع الرسول القرآن فى صحف أو مصحف كما حصل بعده	٩٩
جمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه	١٠٢

الموضوع	الصفحة

سبب جمعه

صفات زيد بن ثابت التي أهلته لجمع القرآن ١٠٥

العرضة الأخيرة ١٠٦

طريقة جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ١٠٨

علام يشهد الشاهدان ١١٠

مشاركة بعض الصحابة لزيد ـ رضي الله عنهم ـ في جمع القرآن ١١٢

فوائد جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه ١١٤

أبو بكر هو أول من جمع القرآن الكريم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١١٥

جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ١١٧

سبب جمعه . ١١٧

كيفية قضاء عثمان رضي الله تعالى عنه على الفتنة ١٢٠

مصحف عثمان رضي الله عنه وطريقة إلزام الناس به وحده ١٢٢

نهاية الصحف البكرية ١٢٥

إشراف عثمان رضي الله عنه على اللجنة القائمة بنسخ الصحف في المصاحف ١٢٧

موقف الصحابة رضي الله عنهم من جمع عثمان الناس على مصحف واحد وتحريقه غيره مما يخالفه ١٣٠

عدد المصاحف العثمانية ١٣٢

سبب تعدد المصاحف وفائدته ١٣٥

فوائد جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه ١٣٩

الموضوع	الصفحة
مقارنة بين جموع القرآن الثلاثة فى العهود الثلاثة	١٤٠
بعض الشبة الواردة على جمع القرآن الكريم	١٤٣
الشبهة الأولى ودفعها	١٤٤
« الثانية «	١٥٠
« الثالثة «	١٥٢
« الرابعة «	١٥٥
« الخامسة «	١٥٨
« السادسة «	١٦١
« السابعة «	١٦٥
« الثامنة «	١٦٨
« التاسعة «	١٧٢
« العاشرة «	١٧٦
المبحث الثالث : ترتيب الآيات والسور	١٧٩
أولا : الآيات :	١٨٢
معنى الآية لغة وإصطلاحا	١٨٢
طريق معرفة الآيات	١٨٦
عدد آيات القرآن المجيد وسبب الخلاف فيه	١٨٩
فوائد معرفة الآيات وعدها	١٩١
ترتيب آيات القرآن الحكيم فى السور توقيفى والأدلة على ذلك	١٩٣
شبهة وتفنيدها	٢٠٠

الموضوع	الصفحة
ثانياً : السور :	٢٠٥
معنى السورة لغة وإصطلاحا	٢٠٥
سور القرآن الكريم وأسماؤها التوقيفية	٢٠٦
تقسيم سور القرآن العظيم بحسب طولها وقصرها	٢١٠
الحكمة فى تسوير القرآن الكريم	٢١٤
رأى العلماء فى تسوير الكتب السماوية السابقة	٢١٦
مذاهب العلماء فى ترتيب السور القرآنية وبيان الحق فيه	٢١٧
المذهب الأول	٢١٧
« الثانى	٢٢٠
« الثالث	٢٢٥
فهرس المراجع	٢٣٣
« الكتاب	٢٤١

كتب أخرى للمؤلف

١ ـ إتحاف الجنان بتفسير أم القرآن — دار الوفاء للطباعة بالمنصورة

٢ ـ الثمار النضرة فى تفسير صدر سورة البقرة — تحت الطبع

(تفسير الربع الأول)

٣ ـ الشوكانى المفسر ، حياته ومنهجه فى
التفسير (رسالة الدكتوراه) — لم يطبع

ويقع فى جزءين كبيرين

٤ ـ العقد الفريد فى مباحث من علوم القرآن المجيد — لم يطبع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٤٠٧ / ١٩٨٢م